الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة سعيدة " د.مولاي الطاهر "

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عامة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي موسومة بـ:

التقديم والتأخير من النحو إلى البلاغة

. من إعداد الطالبين :

ـ تازي سفيان

ـ مجدوبي عبد الحميد

. الأستاذ المشرف:

ـ د. هاشمي طاهر

السنة الجامعية: 2018/2017 م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

* الحمد لله الذي أنعم علينا من فضله وعطائه

فالشكر لله عز وجل على أن هدانا لسلوك طريق البحث والتشبه بأهل العلم.

* إلى كل من ساعدنا في إتمام هذا العمل المتواضع.

* إلى الأستاذ المشرف « هاشمي الطاهر » الذي أمدنا بيد العون

ولم يبخل بإرشاداته وتوجيهاته علينا.

إهداء

* إلى روح والدي رحمه الله .

* إلى أمي الغالية أطال الله عمرها

*إلى جميع أفراد العائلة... وإلى كل من يحمل اسم عائلة مجدوبي أينما وجدوا.

* إلى أصدقائي ورفاق دربي خاصة زميلي سفيان

* إلى كل الأساتذة والزملاء والأصدقاء في المشوار الدراسي.

عبد الحميد

إهداء

* إلى روح والدي رحمه الله .

* إلى من علمتني وعانت الصعاب لأجلي أمي الغالية رحمها الله

* إلى زوجتي الكريمة والى قبس بيتي وولدي "يوسف".

*إلى جميع أفراد العائلة (ميمون وبن ويس ومحمد وعبد الوهاب وجميع أخواتي ...

إلى كل من يحمل اسم عائلة تازي أينما وجدوا.

* إلى أفراد عائلة زوجتي.

* إلى أصدقائي ورفاق دربي خاصة زميلي إسماعيل وعبد الحميد وخلف الله وأحمد

* إلى كل الأساتذة والزملاء والأصدقاء في المشوار الدراسي.

سفيان

مقدمـــــــــة

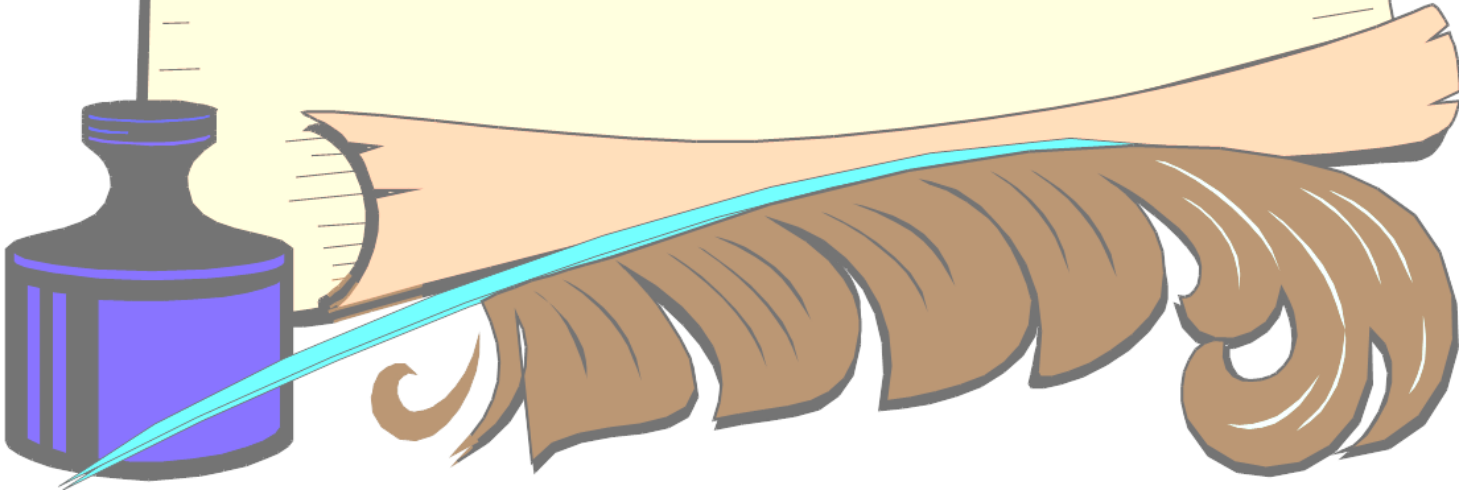

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن من المسَّلم به أن الكلام يتألف من كلمات لا يستطيع المتكلم أن ينطق بها دفعة واحدة فلا بد عند التكلم أن يقدم بعضه ويؤخر بعضه الأخر، ويكتمل المعنى حين تأخذ الكلمة مكانها في الجملة، وقد تأخذ الكلمة موضعها الأصلي في التركيب كأن يأتي الفاعل بعد فعله أو يقع المفعول به بعد الفعل والفاعل، أو يسبق المبتدأ خبره ... الخ.

وقد يعدل عن هذا التركيب الأصلي، فيقدم ما حقه التأخير ويؤخر ما حقه التقديم كأن يأتي المفعول قبل فاعله، أو يسبق الخبر المبتدأ ويكون هذا وفقا لما اقتضته قواعد العربية في بناء تركيبها على قواعد ثابتة يكون فيها التقديم والتأخير واجبا لضرورة نحوية أو يكون التقديم والتأخير جائزا لضرورة بلاغية تقتضيها أغراض المتكلمين وأحوال المخاطبين.

وتعد ظاهرة التقديم والتأخير من أهم المباحث التي لفتت انتباهنا وقد خصصناها للدراسة والبحث، وعليه تطرقنا إلى طرح **الإشكالية** التالية التي تمثلت في: كيف عالج النحويون ظاهرة التقديم والتأخير؟ وكيف عالجها البلاغيون؟ وأين يلتقي النحوي والبلاغي في تناول موضوع التقديم والتأخير بالنظر إلى تداخل مباحثهما في الحقلين المذكورين؟

ولتحقيق الهدف المرجو من هذه الدراسة، فقد اتبعنا المنهج الوصفي المقارن لهذه الظاهرة، واتبعنا في بحثنا هذا خطة بحث تمثلت في مدخل وثلاثة فصول، ثم خاتمة

هذا وقد عرضنا خطة هذا البحث على النحو الآتي:

- **المدخل:** وقد عرضنا فيه جوانب من خصوصيات اللغة العربية ومظاهر التوسع في أساليبها وتراكيبها

- **الفصل الأول:** تناولنا في هذا الفصل التقديم والتأخير عند النحاة، وقد أدرجنا تحت هذا الفصل مبحثين إثنين هما: **المبحث الأول:** التقديم والتأخير عند النحاة القدامى، **والمبحث الثاني:** التقديم والتأخير عند النحاة المحدثين.

- **الفصل الثاني:** تناولنا فيه التقديم والتأخير عند البلاغيين، وأدرجنا تحت هذا الفصل مبحثين اثنين: **المبحث الأول:** التقديم والتأخير عند البلاغيين القدامى، **والمبحث الثاني:** التقديم والتأخير عند البلاغيين المحدثين.

- **الفصل الثالث:** تناولنا من خلاله التقديم والتأخير بين النحو والبلاغة وفيه قدمنا في إطار موضوع التقديم والتأخير مقاربة نصية بين سيبويه وعبد القاهر الجرجاني.

-**خاتمة:** حيث قدمنا من خلالها جملة من النتائج التي توصلنا إليها.

هذا وقد واجهتنا بعض الصعوبات تمثلت في طبيعة الموضوع التي تستدعي وقتا أطول للإلمام به، وقد كانت عدتنا في انجاز هذا البحث مجموعة من المصادر القديمة والحديثة، فمن المصادر التي اعتمدنا عليها كثيرا الكتاب لسيبويه والخصائص لإبن جني ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، وكتابي البيان في روائع القران لتمام حسان واللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان، وكتاب الجملة العربية تأليفها وأقسامها لفاضل السمرائي، والتطبيق النحوي لعبده الراجحي.

مدخل

مدخل:

تتميز اللغة العربية عن سائر اللغات بجمالها الفني وقوة معانيها، وبلاغة ألفاظها فهي لغة الأعاجيب في وضعها المحكم وتنسيقها الدقيق، ومما لا شك فيه أن اللسان العربي أفصح الألسنة، ولا يحيط بكلام العرب غير نبي، ولغتنا هويتنا فهي لغة القرآن المعجز الذي دخل إلى أفئدة أئمة الكفر والضلال، فهداهم إلى سواء الصراط المستقيم.

واللغة العربية مملوءة بعجيبها وغريبها في الألفاظ والتراكيب، والمتشابهات والمترادفات ومن عجيبها ما نجده عند العرب من أقوال فمن ذلك قول العرب «"أَبَرُّ مِنْ هِرَّةٍ " وقول "أَعَقُّ مِنْ ضَبَّةٍ" والعجيب في قول العرب هذا، أن الهرة تأكل أولادها فتنسب إلى البر فيقال"ابر من هرة " والضبة تأكل أولادها فتنسب إلى العقوق فيقال" أَعَقُّ مِنْ ضَبَّةٍ " ولا يقال " أَعَقُّ مِنْ هِرَّةٍ "» [1] فهذا مما يدل على أن اللغة العربية عجائبها تكمن ضمن مضمونها.

ومن العجائب اللغوية أيضا كلمات ترد اسما وفعلا وحرفا، وهي أكثر من عشرين كلمة ذكر منها الجمال السُرُمُرِي ثلاثا حين قال:

إِذَا طَارَحَ النَّحْوِيُ أَيَّةَ كَلِمَةٍ

هِيَ اسْمٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ حَرْفٌ بِلاَ مِرَا

---

[1] – ينظر طريف الغريب في اللغة والتأليف: محمد رجب السمرائي، دار الحضارة للنشر التوزيع، المملكة العربية السعودية،(د.ط)، 2010م، ص08.

فَقُلْ هِيَ إِنْ فَكَّرْتَ فِي شَأْنِهَا(عَلَى)

وَ(فِي) ثُمَّ (لَمَا) ظَاهِرٌ لِمَنْ اقْتَرَا

غَدَتْ مِنْ (عَلَيْهِ) قَدْ (عَلَى) قَدْرِ خَالِدٍ

(عَلَى) قَدْرِ عَمْرُو بِالسَّمَاحَةِ فِي الوَرَى

وَقُلْ قَدْ سَمِعْتُ اللَّفْظَ مِنْ (فِي) مُحَمَدٍ

وَ(فِي) مَوْعِدِي يَا هِنْدُ لَوْ كُنْتَ (فِي) الكَرَى

وَ(لَمَّا) رَأَى الزَّيْدَانِ حَالِي تَحَوَّلَتْ إِلَى

شُعْثٍ لِمَا فِـ (لَمَّا) أَخَفْ عَرَى

مَوَارِدُهَا تُنْبِي بِمَا قَدْ ذَكَرْتُهُ

وَإِنْ لَمْ أُصَرِّحْ بِالدَّلِيلِ مُحَرَّرَا[1]

فهذه الحروف أحيانا تكون أسماء وأحيانا أفعالا، وهذا من عجيب العربية.

وللحروف العربية هندسة بديعة وعجيبة في دلالاتها وأوزانها، وهذا يؤثر على دلالاتها « فحرف "الطاء" و"الفاء" (طفـ) يشكلان نصف قوس من الشمال إلى اليمين وحرف "الفاء"

[1]–ينظر: المرجع السابق: ص09

و"الراء" (فر) يشكلان نصف قوس من اليمين إلى الشمال، أي إن كلمة "طَفَرَ" تساوي قوسا كاملا أو نصف دائرة لذلك نقول: " طَفَرَ الحِصَانُ الحَاجِزُ" أي قفز لأن القفز إنما يكون قوسيا وكذلك "طَفَرَ الدَّمْعُ" سال فوق حافة الجفن بشكل قوسي صغير»[1].

ومن الحروف أيضا حرف" الكاف " و"الصاد" فحرف الكاف له زاوية قائمة، وهي زاوية نافرة، بينما لحرف الصاد رسم لين لا نفور فيه، فإذا أضيف حرف الباء لكلا الحرفين أصبح "كَبَّ" و"صَبَّ" فنجد الأول يعني رش الماء دفعة واحدة بدون اعتناء لفعل يوازي نفور رسم حرف الكاف، ونجد الثاني يعني سكب الماء بهدوء ورفق وأناة لفعل يوازي ليونة رسم حرف الصاد، فترمي بدون ريب إلى اثر رسم الحرف في الفعل نفسه»[2]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حيوية هذه اللغة وسعتها.

وإذا نظرنا في خصائص العربية فإن لها خصائص ليست لغيرها من اللغات على الإطلاق، فمنها السعة التي لا حد لها حتى كادت مفرداتها لا تحصى ومنها (الإعراب) وهو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولا الإعراب ما ميز فاعل من مفعول ولا مضاف من منعوت، ولا تعجب من استفهام»[3].

---

[1]– ينظر: معجم عجائب اللغة نوادر ودقائق ومدهشات علمية: شوقي حمادة ، دار صادر بيروت ، ط1، 2000م ص35

[2]– ينظر: المرجع نفسه: ص35.

[3] – ينظر: دقائق العربية:أمين آل ناصر الدين، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1968م، ص 15.

ومنها (الشعر) وهو ديوان العرب وحافظ مآثرهم ومقيد أحسابهم، وههيات أن يماثله شعر لغة أخرى، ومنها (الفرق بالحركات وغيرها) بين المعاني، يقال لآلة الرمي" مِرْمَى" ولمكان الرمي "مَرْمَى" ومنها "الاختصاص" بالحاء والضاد والطاء فهذه الأحرف لم تكن إلا في العربية، ومنها الزيادة في أحرف الفعل للمبالغة مثل "احْلَوْلَى الشيء" و"اعْشَوْشَبَتْ الأرض"»[1] ويمكننا الاقتصار على بعض هذه الخصائص، لأن خصائص العربية يصعب حصرها لكثرتها، يقول أمين آل ناصر الدين:« الذي يتضلع من هذه اللغة ويقف على أسرارها ودقائقها، لا يزال يبغي الازدياد من فوائدها، وكلما سار شوطا أخذه اليأس من البلوغ إلى غايتها، أما الذي لم يقف على جزئياتها فيخيل إليه أنه أصبح باقعة الدهر، وأن جهابذة اللغة وأقطاب الأدب وفحول الشعراء إنما هم عيال عليه»[2].

وكما نشير إلى أن للعربية جوانب توسع أخرى، غير الذي ذكرناه فمن هذه الجوانب الترادف في اللغة العربية، وكثرة المشتقات فاللغة العربية باعتبارها أكثر اللغات ثراءا وغناً بالمفردات اللغوية وتراكيبها، واكتسبت هذه الخاصية من عدة مظاهر أبرزها كثرة الأسماء الدالة على مسمى واحد، وكثرة المترادفات والجمل والتراكيب، ومن التوسع أيضا في اللغة كثرة المشتقات فيها« فالاشتقاق عند أهل اللغة أخذ لفظ من لفظ أخر، بشرط تناسبهما معنىً وتركيبا واختلافهما في الصيغة، وهو على ثلاثة أنواع "الاشتقاق الصغير" وهو أن يكون بين

---

[1]– ينظر: دقائق العربية:أمين آل ناصر الدين ، المرجع السابق، ص15.

[2]– المرجع نفسه: ص15.

المشتق والمشتق منه تناسب في اللفظ كما في "ضَرْبٌ وضَرَبَ" والثاني "الاشتقاق الكبير" وهو أن يكون بينهما تناسب دون ترتيب مثل "جَبَذَ وجَذَبَ " والثالث وهو "الاشتقاق الأكبر" وشرطه أن يكون بين المشتق والمشتق منه تناسب في مخرج الحروف فقط، كما في "نَعَقَ ونَهَقَ" والأصل فيه أن يكون من المصادر، وأصدق ما يكون في الأفعال المزيدة والصفات منها، ويغلب في الأعلام ويقل في الأسماء»[1].

وهذه طائفة من المشتقات فقد قال أهل اللغة إن« "الجيم والنون" يدلان أبدا على الستر فالجن نقيض الإنس مشتق من "الاجتنان" إي الاستتار وقالت العرب للدرع "جُنَةٌ" لستر الجسم "وأَجَنَّهُ الليل" أي ستره وقال الأخفش اشتقاق "الدكان" من الدُكْدُكْ وهي الأرض فيها غلظ وانبساط، والدكان بناء كالمسطبة يسطح أعلاه للقعود عليه»[2].

وسأل ابن حاتم الأصمعي لم سمي "مِنَى" وهو مكان بمكة هذا الاسم فقال الأصمعي لست أدري فسال أبو حاتم أبا عبيدة هذا لم أكن مع آدم حين علمه الله الأسماء، فسأل أبا زيد فأجاب سمي" مِنَى " لما يمنى فيه من دم الأضاحي ومعنى يمنى يهرق.

وسئل أبو عمر ابن العلاء عن اشتقاق الخيل فلم يدر، فمر به أعرابي محرم فسأله فقال الأعرابي اشتقاق الخيل من فعل السير، فلم يفهم الحاضرون ما أراد الأعرابي فسألوا أبا عمر فقال ذهب إلى الخيلاء التي في الخيل، أما ترونها تمشي العرضتي خُيَلاَءا وتكبرا »[3] فالشيء الأكيد أن اللغة العربية

---

[1]– ينظر: المرجع السابق: ص20.

[2]– ينظر: المرجع نفسه: ص20.

[3] – ينظر: المرجع نفسه: ص20.

بما لها من خصائص متميزة، فكان الاشتقاق والترادف ضمن تتلك الخصائص التي تزيد المعنى اللغوي في العربية جمالا بل وضوحا أكثر واتساعا.

ومن بين مميزات اللغة العربية الأسلوب التعبيري الخاص بكل واحد منا، فطبيعة الأسلوب تفرض عدة أوجه، فهناك من يستعمل التقديم والتأخير في تعبيره الخاص، ومنهم من يتبع نظام الجمل على أصلها، ومثال ذلك فقد نجد من يقدم المفعول به على الفاعل من اجل غاية بلاغية، وقد يكون أيضا من اجل غاية نحوية وذلك لا يخل بالمعنى أبدا، باعتبار أن اللغة العربية لها ميزة التقديم والتأخير، وبفضل ذلك لا نجد فيها إشكالا يغير لنا المضمون، أو معنى التركيب اللغوي، فموضوعنا الذي هو التقديم والتأخير من النحو إلى البلاغة، درسنا فيه طبيعة التقديم والتأخير في النحو لدى القدماء والمحدثين ووجدنا بطبيعة الحال فروقات بين كلتا المرحلتين، وأيضا درسنا التقديم والتأخير في البلاغة ومثل ذلك وجدنا عدة أوجه اختلاف بين القدماء والمحدثين، في حين أننا أجرينا مقاربة نصية بين متون من البلاغة ومتون من النحو والتي استنتجنا من خلالها النقاط التي يشترك فيها كل من النحو والبلاغة حول ظاهرة التقديم والتأخير.

الفصل الأول: التقديم والتأخير عند النحاة القدامى والمحدثين

* المبحث الأول: التقديم والتأخير عند النحاة القدامى

* المبحث الثاني: التقديم والتأخير عند النحاة المحدثين

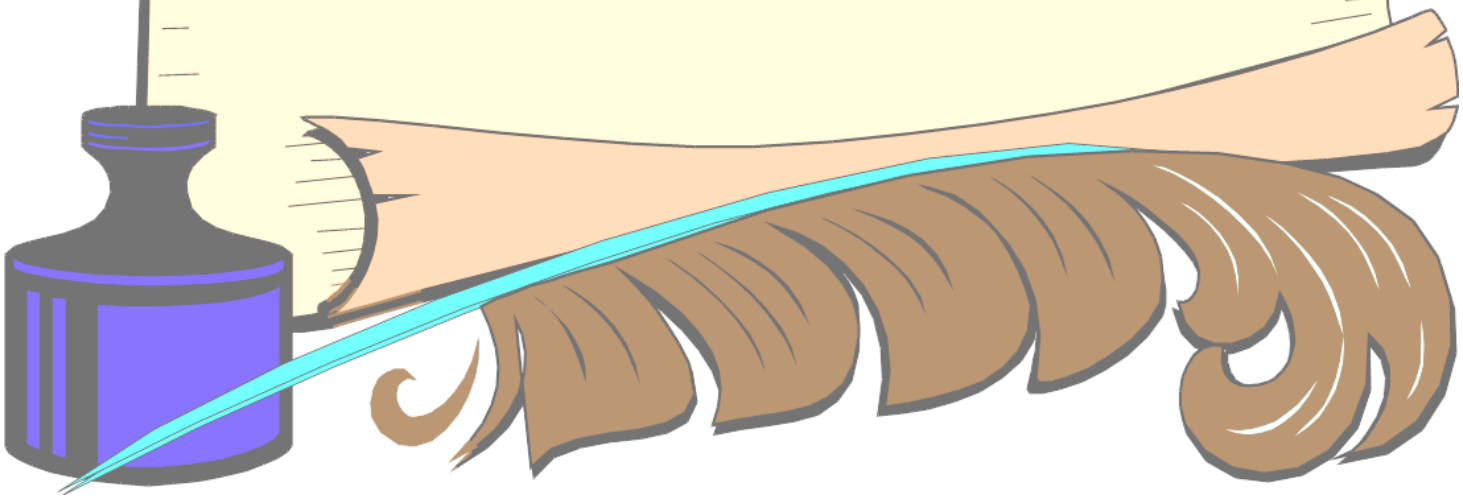

تلقت ظاهرة التقديم والتأخير اهتماما كبيرا عند النحاة القدامى والمحدثين وذلك باعتبارها ظاهرة نحوية لها الأثر البالغ في توجيه المعنى والدلالة.

المبحث الأول: التقديم والتأخير عند النحاة القدامى

1- التقديم والتأخير عند سيبويه:

يعتبر سيبويه (180هـ) من الأوائل الذين لفتوا الأنظار إلى معنى التقديم والتأخير إذ يقول في كتابه (باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول) « فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، ولذلك قولك: ضَرَبَ زَيْدًا عَبْدُ اللهِ لأنك إنما أردت به مؤخرا ما أردت به مقدما، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه، وإن كان مؤخرا في اللفظ فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدما ، وهو عربي جيد كثير كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم وهم ببيانه أعنى وإن كان جميعا يهمانهم ويعنيانهم»[1] .

فالمفعول من شأنه التأخير في الجملة الفعلية، فإن تقدم في الجملة على فاعله فذلك يكون لعلة قصد إليها المتكلم، ألا وهي العناية والاهتمام

فما يمكن قوله أن التقديم والتأخير عند سيبويه له أسرار بلاغية، منها العناية والاهتمام بالمقدم سواء تقدم المفعول على الفاعل مثل: "ضَرَبَ زَيْدًا عَبْدُ اللهِ" "فَزَيْدٌ": مفعول

[1]- الكتاب لسيبويه: أبي بشر عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط3 1408هـ- 1988م، ص 34.

به قدم عن الفاعل : "عَبْدُ اللهِ " أو تقدم المفعول عن الفعل والفاعل مثل : "زَيْدًا ضَرَبَ عَبْدُ اللهِ".

ويرى سيبويه أن العناية والاهتمام من الأسباب الموجبة للتقديم والتأخير، والتي تنتج عنها فوائد يقول:(في باب ما يكون فيه الاسم مبنيا على الفعل قدم أو أخر وما يكون فيه الفعل مبنيا على الاسم) « وإن قدمت الاسم فهو عربي جيد، كما كان ذلك عربيا جيدا وذلك قولك "زيدا ضربت"، والاهتمام والعناية هنا في التقديم والتأخير سواء مثله في "ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا" و"ضَرَبَ عَمْرًا زَيْدٌ" » [1] ففي هذا الباب إشارة إلى ما قاله سيبويه من العناية والاهتمام أنهما سببان موجبان للتقديم والتأخير والعناية والاهتمام هنا للتقديم والتأخير سواء مثله في ضرب "زيد عمرا" و"ضرب عمرا زيد".

كما يكون التقديم والتأخير عنده للعناية والاهتمام في (في باب المفعول الذي يتعداه فعله إلى مفعول) حيث يقول: « وان شئت قدمت وأخرت فقلت كُسِيَ الثَّوْبَ زَيْدٌ وَأُعْطِيَ المَالَ عَبْدُ اللهِ كما قلت: ضَرَبَ زَيْدٌ عَبْدَ اللهِ فالأمر في هذا كله في الفاعل » [2]

يقول أبو سعيد السيرافي في شرحه لهذا الباب « وهذا الباب يتعدى فعل المفعول فيه إلى مفعول آخر، واعتبار ذلك أنك تنظر في الفعل الذي يتعدى إلى مفعولين وقد سمي فاعله فإذا أردت أن تنقله إلى ما يسمى فاعله حذفت الفاعل، وأقمت احد المفعولين مقامه

[1] – المصدر السابق: « باب ما يكون فيه الاسم مبنيا على الفعل قدم أو أخر وما يكون فيه الفعل مبنيا على الاسم» ص80.

[2] – المصدر نفسه: « باب المفعول الذي يتعداه فعله إلى مفعول » ج1، ص42

بصياغة الفعل له فصار الفعل للمفعول الذي رفعته ونصبت المفعول الآخر فصار المفعول متعديا إلى مفعول آخر » [1]

ويذكر لنا سيبويه سرا آخر من أسرار التقديم والتأخير وهو إفادة المخاطب التنبيه:«فإذا بنيت الفعل على الاسم قلت زَيْدًا ضَرَبْتُهُ، فلزمته الهاء وإنما تريد بقولك مبني عليه الفعل أنه في موضع منطلق إذا قلت عبد الله منطلق فهو في موضع هذا الذي بني على الأول، وارتفع به فإنما قلت عبد الله فنسبته له ثم بنيت عليه الفعل ورفعته بالابتداء»[2]

يقول أبو سعيد السيرافي في شرحه لهذا الباب (باب ما يكون الاسم فيه مبنيا على الفعل قدم أو أخر وما يكون الفعل فيه مبنيا على الاسم) يقول:« يعني أنك إذا جعلت زيدا هو الأول في الرتبة فلا بد من أن ترفعه بالابتداء، فإذا رفعته بالابتداء فلابد من أن يكون في الجملة التي بعده ضمير يعود إليه، وتكون هذه الجملة مبنية على المبتدأ كأنك قلت " زَيْدٌ مَضْرُوبٌ"»[3] .

---

[1] – شرح الكتاب « كتاب سيبويه » أبي سعيد السيرافي، تحقيق احمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، ج1، دار الكتاب العلمية ببيروت، لبنان، « باب المفعول الذي تعداه فعله إلى مفعول» ص 288.

[2] – الكتاب لسيبويه: أبي بشر عثمان بن قنبر، المصدر السابق، ص80.

[3] – شرح الكتاب « كتاب سيبويه »:المصدر نفسه، ص 372.

وفي شرحه لقول " فإنما قلت عَبْدُ اللهِ فنبهته له ثم بنيت عليه الفعل فرفعته بالابتداء" قال:« يعني ابتدأت بعبد الله فنبهت المخاطب له، فانتظر الخبر عنه فأخبرت بالجملة التي بعده»[1] .

وإن كان التقديم والتأخير كما ذكر سيبويه يأتي لحسن الكلام، فإنه قد يكون عنده سببا لقبح الكلام وإن كان موافقا لقواعد النحو يقول سيبويه عن هذا: « ويحتملون قبح الكلام حتى يضعوه في غير موضعه لأنه مستقيم ليس فيه نقض، فمن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة

صَدَدْتِ فَأَطْوَلْتِ الصُّدُودَ وَقَلَّمَا

وِصَالٌ عَلَى طُولِ الصُّدُودِ يَدُومُ[2]

وإنما الكلام: وَقَلَّ مَا يَدُومُ وِصَالُ

وقوله:« وجعلوا ما لا يجري في الكلام إلا ظرفا بمنزلة غيره من الأسماء وذلك قول المرار بن سلامة العجلي:

وَلاَ يَنْطِقُ الفَحْشَاءَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ

إِذَا جَلَسُوا مِنَّا وَلاَ مِنْ سِوَائِنَا

[1]– شرح الكتاب « كتاب سيبويه »:المصدر السابق، ص372

[2] – الكتاب لسيبويه: أبي بشر عثمان بن قنبر، المصدر السابق، ص31.

فعلوا ذلك لأن معنى "سِوَاءَ" معنى "غَيْرَ" ومعنى الكاف معنى "مِثْلَ" وليس شيء يضطرون إليه إلاّ وهم يحاولون به وجها، وما يجوز في الشعر أكثر من أن اذكـــره لك ههنا» [1] ذكر أبو سعيد السيرافي في شرحه لهذا الباب (باب ما يحتمل الشعر) قال: «اعلم أن سيبويه ذكر في هذا الباب جملة من ضرورات الشعر، ليرى بها الفرق بين الشعر والكلام ولم يتقصده، لأنه لم يكن غرضه في ذكر ضرورة الشاعر قصدا إليها نفسها وإنما أراد أن يصل هذا الباب بالأبواب التي تقدمت فيما يعرض في كلام العرب ومذهبهم في الكلام المنظور والمنثور» [2] ويقسم أبو سعيد ضرورة الشعر إلى أقسام فيقول: « وضرورة الشعر سبعة أوجه وهي : الزيادة والنقصان والحذف والتقديم والتأخير، والإبدال وتغيير وجه من الإعراب إلى وجه أخر على طريق التشبيه وتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث... الخ» [3]

ويتحدث سيبويه عن قبح الكلام في باب (باب الاستقامة من الكلام والإحالة) فيقول عن الاستقامة في الكلام:« فمنه مستقيم حسن ومحال ومستقيم كذب ومستقيم قبيح وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك: "أَتَيْتُكَ أَمْس وَسَآتِيكَ غَدًا" وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول :أَتَيْتُكَ غَدًا وَسَآتِيكَ أَمْس وأما المستقيم الكذب فأن تقول : سَوْفَ

[1] – المصدر السابق، ص31.

[2] – شرح الكتاب « كتاب سيبويه» لأبي سعيد السيرافي، المصدر السابق، ص189.

[3] – المصدر نفسه، ص189.

أَشْرَبْ مَاءَ البَحْرِ أَمْس، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غيره موضعه نحو قولك: "قَدْ زَيْدًا رَأَيْتُ" و"كَيْ زَيْدًا يَأْتِيكَ" وأشباه هذا » [1]

فقوله: "وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه" فهذا إشارة إلى التقديم والتأخير في الكلام، وهو في هذه الحالة يمثل سببا في قبح الكلام كما يرى بذلك سيبويه ومثال ذلك قولك: "قَدْ زَيْدًا رَأَيْتُ" فهذه جملة فعلية تحوي تقديما وتأخيرا بين أركانها، حيث قدم المفعول على الفعل مما أدى إلى قبح الكلام وإحالته على الكلام الحسن " قَدْ رَأَيْتُ زَيْدًا".

وفي الحديث عن همزة الاستفهام يشير سيبويه إلى علاقة التقديم والتأخير بالهمزة فهو يستحسن أن يلي المسؤول عنه الهمزة ويقدم الفعل ففي باب (ما إذا الكلام بها بمنزلة أيهما وأيهم) يقول:« وذلك قولك أَزَيْدٌ عِنْدَكَ أَمْ عَمْرُو وَأَزَيْدًا لَقَيْتَ أَمْ بِشْرًا ؟ فأنت الآن مدع أن عنده احدهما، لأنك إذا قلت أيهما عندك وأيهما لقيت، فأنت مدع أن المسؤول لقي أحدهما إلا أن علمك قد استوى فيهما لا تدري أيهما هو، فبدأت بالاسم لذلك تقصد قصد أن يبين لك أي الاسمين عنده وجعلت الاسم الأخير عديلا للأول، وصار الذي لا تسال عنه بينهما ولو قلت أَلَقَيْتَ زَيْدًا أَمْ عَمْرًا كان جائزا حسنا، وإنما كان تقديم الاسم ههنا أحسن، ولم يجز الآخر إلا أن يكون مؤخرا لأنه قصد أحد الاسمين فبدأ بأحدهما»[2]

[1]– الكتاب لسيبويه: أبي بشر عثمان بن قنبر، ج1، المصدر السابق، ص26.

[2] – المصدر نفسه، ج3، ص.ص 169. 170.

ويوضح لنا سيبويه سر تقديم الفعل بعد همزة الاستفهام وما يتولد عنه من معان عند تقديم وتأخير الفعل فهو جائز حسن عند سيبويه، إذا كان هو المسؤول عنه غير أن تقديم الفعل أولى وأفضل وإن كان تأخير الفعل المسؤول عنه حسنا « فتقول أَضَرَبْتَ زَيْدًا أَمْ قَتَلْتَهُ فالبدء ههنا بالفعل أحسن لأنك إنما تسأل عن أحدهما لا تدري أيهما كان، ولا تسأل عن موضع أحدهما فالبدء بالفعل ههنا أحسن كما كان البدء بالاسم... الخ»[1].

ثم يقول سيبويه في باب (أو): « تقول أَلَقَيْتَ زَيْدًا أَوْ عَمْرًا أَوْ خَالِدًا واعلم أنك إذا أردت هذا المعنى، فتأخير الاسم أحسن لأنك إنما تسأل عن الفعل بمن وقع ولو قلت أَزَيْدًا لَقَيْتَ أَوْ عَمْرًا أَوْ خَالِدًا وَأَزَيْدًا عِنْدَكَ وَعَمْرًا أَوْ خَالِدًا كان هذا في الجواز والحسن بمنزلة تأخير الاسم إذا أردت معنى أيهما »[2]

فهذه أهم الملاحظات التي ذكرها سيبويه في كتابه في ما يخص التقديم والتأخير ويتضح أن سيبويه لم يقصد في ذلك أن يلفت الأنظار إلى التقديم والتأخير، وإنما هي مجرد ملاحظات ذكرها في كتابه ويؤكد هذا ما قاله الدكتور احمد مطلوب في كتابه "البلاغة عند السكاكي" قال: « إن سيبويه لم يكن إلا واحدا من الذين ذكروا بعض مسائل البلاغة

---

[1] – المصدر السابق، ج3، ص171.

[2] – المصدر نفسه، ص179.

بصورتها الساذجة أو لعل سيبويه عندما نثر هذه المسائل لم يقصد إلى علم غير النحو، ولم ير علما خاصا هو علم البلاغة أو أحد فنونها الثلاثة »[1]

2- التقديم والتأخير عند ابن جني:

تحدث ابن جني (395هـ) عن التقديم والتأخير في كتابه" الخصائص" باب(شجاعة العربية) عن ما يجوز منه وما لا يجوز، وما يقبله القياس وما يسهله الاضطرار فأخذ يتحدث عن ما يقبله القياس كتقديم المفعول به والظرف على الفاعل، وتقديمهما على الفعل وكتقديم المستثنى منه، فلا يجوز تقديم المستثنى على الفعل الناصب له نحو "إِلَّا زَيْدًا قَامَ القَوْمُ" لأن القياس لا يقبل هذا التركيب وعلة ذلك مضارعة الاستثناء البدل، فالبدل لا يتقدم على المبدل منه يقول ابن الجني في هذا : « التقديم على ضربين: أحدهما ما يقبله القياس والآخر ما يسهله الاضطرار كتقديم المفعول على الفاعل تارة وعلى الفعل الناصب أخرى "كَضَرَبَ زَيْدًا عَمْرُو" " وَزَيْدًا ضَرَبَ عَمْرُو" ، وكذلك الظرف نحو "قَامَ عِنْدَكَ زَيْدٌ" و"عِنْدَكَ قَامَ زَيْدٌ" و"سَارَ يَوْمَ الجُمُعَةِ جَعْفَرُ" و" يَوْمَ الجُمُعَةِ سَارَ جَعْفَرُ" وكذلك الحال نحو " جَاءَ ضَاحِكًا زَيْدٌ" و"ضَاحِكًا جَاءَ زَيْدٌ" وكذلك الاستثناء نحو " مَا قَامَ إِلاَّ زَيْدٌ"، ولا يجوز تقديم المستثنى على الفعل الناصب له لو قلت: " إِلَّا زَيْدًا قَامَ القَوْمُ" لم يجز لمضارعة الاستثناء

[1] – البلاغة عند السكاكي: احمد مطلوب، منشورات مكتبة النهضة،بغداد، العراق، ط1، 1384هـ-1964م، ص80.

البدل ألا تراك تقول: "مَا قَامَ أَحَدٌ إِلَّا زَيْدًا و" إِلَّا زَيْدٌ" والمعنى واحد فلما جار الاستثناء البدل امتنع تقديمه»[1] .

كما يجوز تقديم خبر المبتدأ على المبتدأ وخبر كان وأخواتها على أسمائها وعليها أيضا وتقديم المفعول لأجله على الفعل الناصب له نحو: "طَمَعًا فِي بِرِّكَ زُرْتُكَ" في حين لا يجوز تقديم المفعول معه على الفعل نحو : " والطَيَالِسَةَ جَاءَ البَرْدُ" لأن الواو هنا بمنزلة واو العطف وهذا يقبح كقبح " وَزَيْدٌ قَامَ عَمْرُو" كما يقبح تقديم التمييز فلا يجوز " شَحْمًا تَفَقَّأْتُ" و"عَرَقًا تَصَبَّبْتُ" ويقاس ذلك على الفاعل الذي لا يجوز تقديمه على فعله، لأن التمييز هو الفاعل في المعنى، ولا يجوز كذلك تقديم نائب الفاعل على الفعل قياسا على الفاعل أيضا ومجمل هذا في قوله:« ومما يصح ويجوز تقديمه خبر المبتدأ على المبتدأ نحو" قَائِمٌ أَخُوكَ" و"فِي الدَّارِ صَاحِبُكَ" ، وكذلك خبر كان وأخواتها على أسمائها وعليها أنفسها وكذلك خبر ليس نحو " زَيْدًا لَيْسَ أَخُوكَ" وَمُنْطَلِقَيْنِ لَيْسَ أَخَوَاكَ" ويجوز تقديم المفعول له على الفعل الناصبة نحو " طَمَعًا فِي بِرِّكَ زُرْتُكَ" "وَرَغْبَةً فِي صِلَتِكَ قَصَدْتُكَ"»[2].

ولا يجوز تقديم المفعول معه على الفعل نحو قولك: و" الطَيَالِسَةَ جَاءَ البَرْدُ" من حيث كانت صورة هذه الواو صورة العاطفة ألا تراك لا تستعملها إلا في الموضع الذي لو شئت لا استعملت العاطفة فيه نحو " جَاءَ البَرْدُ وَالطَيَالِسَةَ" ولو شئت لرفعت "الطَيَالِسَةُ" عطفا على

---

[1] – الخصائص: أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، ج2، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د.ط)، 1331هـ- 1913م، ص 382.

[2] – المصدر نفسه : ص384.

"البَرْدُ" وكذلك " لَوْ تُرِكْتَ وَالأَسَدُ لَأُكِلْتَ" يجوز أن ترفع الأسد عطفا على التاء ولهذا لم يجز أبو الحسن " جِئْتُكَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ" أي "مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ" لأن طلوع الشمس لا يصح إتيانه لك فلما ساوقت حرف العطف قبح" وَالطَيَالِسَةَ جَاءَ البَرْدُ " كما قبح و"زَيْدٌ قَامَ عَمْرُو" لكنه يجوز " جَاءَ وَالطَيَالِسَةَ والبَرْدُ " كما تقول :" ضَرَبْتُ وَزَيْدًا عَمْرًا"»[1].

وقوله عن تقديم الاسم المميز وإن كان الناصبة فعلا متصرفا يقول فيه : « ومما يقبح تقديمه الاسم المميز، وإن كان الناصب له فعلا متصرفا فلا نجيز " شَحْمًا تَفَقَّأْتُ" و"لَا عَرَقًا تَصَبَّبْتُ" وذلك أن هذا المميز هو الفاعل في المعنى، ألا ترى أن أصل الكلام " تَصَبَّبَ عَرَقِي" و" تَفَقَّأَ شَحْمِي" ثم نقل الفعل فصار في اللفظ لي فخرج الفاعل في الأصل مميزا فكما لا يجوز تقديم الفاعل على الفعل، فكذلك لا يجوز تقديم المميز إذا كان هو الفاعل في المعنى على الفعل، وكما لا يجوز تقديم الفاعل على الفعل، فكذلك لا يجوز تقديم ما أقيم مقامه "كَضُرِبَ زَيْدٌ" »[2].

فالقاعدة عند ابن جني أنه ليس في الدنيا مرفوع يجوز تقديمه على رافعه، وأما خبر المبتدأ فلم يتقدم عنده على رافعه، لأن رافعه ليس المبتدأ وحده وإنما الرافع له المبتدأ والابتداء جميعا فلم يتقدم الخبر عليهما معا، وإنما تقدم على أحدهما وهو المبتدأ وهذا لا ينتقض يقول ابن جني:« وأما خبر المبتدأ فلم يتقدم عندنا على رافعه لأن رافعه ليس المبتدأ وحده إنما

---

[1] – المصدر السابق: ص384.

[2]– المصدر نفسه: ص385.

الرافع له هو المبتدأ والابتداء جميعا فلم يتقدم الخبر عليهما معا، وإنما تقدم على أحدهما وهو المبتدأ فهذا لا ينتقض لكنه على قول أبي الحسن مرفوع بالمبتدأ وحده، ولو كان كذلك لم يجز تقديمه على المبتدأ»[1] كما نرى أن ابن جني في سرده التقديم الجائز وغير الجائز كان لا يهمه كما رأينا إلا القياس وصحته أو ضعفه أو فساده، وبيان العلة ولم يتعدى ذلك إلى ذكر الأسرار البلاغية للتقديم والتأخير، كما رأى بذلك سيبويه بل العناية والاهتمام وغيرها من الأسرار التي رآها سيبويه لم يأخذ بها ابن جني وعدها رأيا رآه سيبويه فقال :« وإنما هو شيء رآه سيبويه واعتقده قولا ولسنا نقلد سيبويه ولا غيره لهذه العلة ولا في غيرها فإن الجواب في هذا حاضر عتيد والخطب فيه أيسر» [2]

فالتقديم عند ابن جني وأستاذه أبي علي الفارسي(377هـ) ليس لعلة كالعناية والاهتمام والتنبيه، وذلك لأن المفعول قد شاع عندهم واطرد في مذاهبهم كثرة تقدمه على الفاعل، فقد دعا ذلك أبا علي الفارسي للقول أن تقديمهم المفعول على الفاعل قسم قائم برأسه، كما أن تقديم الفاعل أيضا قسم قائم برأسه، وإن كان تقديم الفاعل أكثر وقد جاء به الاستعمال واسعا في القرآن الكريم، وفي كثير من شعر الشعراء والأمر في كثرة تقديم المفعول على الفاعل حيث يقول: «إن تقديم المفعول على الفاعل قسم قائم برأسه كما أن تقدم الفاعل قسم قائم برأسه، وإن كان تقديم الفاعل أكثر وقد جاء به الاستعمال مجيئا واسعا في القرآن الكريم، وفي شعر الشعراء والأمر في كثرة تقديم المفعول على الفاعل في القرآن

[1]– المصدر السابق: ص385.

[2] – المصدر نفسه، ج1، ص 298.

وفصيح الكلام متعالم غير مستنكر ...الخ»[1] ويشعر ابن جني أن كلامه يبدو غريبا للقارئ فيقول :« ولا تستنكر هذا الذي صورته لك فانه مما تقبله هذه اللغة ولا تعافه »[2].

فالمفعول به عند ابن جني وأستاذه أبي علي الفارسي ذو شأن في الجملة لا يقل عن شأن الفاعل، وإن الفعل إذا اسند إلى المفعول بدل الفاعل تتغير صورته، ويفهم من كلام ابن الجني أن العرب قد بنت أفعالا على المفعول به دون الفاعل.

[1]– المصدر السابق: ص 297.

[2] – المصدر نفسه: 297.

المبحث الثاني: التقديم والتأخير عند النحاة المحدثين

تناول كثير من المحدثين ظاهرة التقديم والتأخير وعلاقتها بالمعنى يقول فاضل السمرائي : « وقد جعل النحاة الكلام رتبا بعضهما اسبق من بعض، فإن جئت بالكلام على الأصل لم يكن من باب التقديم والتأخير، وإن وضعت الكلمة في غير مرتبتها دخلت في باب التقديم والتأخير فإن قولك : " كَسَى مُحَمَّدٌ سَالِمًا قَمِيصًا" مثلا ليس فيه تقديم وتأخير فقد جئت بالفعل ثم الفاعل ثم المفعول به الأول ثم المفعول به الثاني، ولو غيرت أية كلمة عن موضعها دخلت في باب التقديم والتأخير الذي يدل على أن ما قدمته أهم مما أخرته»[1].

فالكلام عندهم يعبر عن المعاني، ولا بد من أن ينتظم على صورة مخصوصة للوصول إلى المعنى المفيد والأصل أن يكون هناك رتبة بين الألفاظ وهذه الرتبة قد تكون محفوظة أو غير محفوظة قابلة للتقديم والتأخير، وذلك بحسب المعنى المراد إيصاله وعدم حفظها يعني أن المعنى معها لا يدخله الغموض أو اللبس، بل العكس فقد يستغل المتكلم حرية الرتبة من أجل التعبير عن معان لا تعبر عنها الرتبة المحفوظة، وقد يعرض لهذه الرتبة ما يقيدها من اجل المعنى، ولهذا نجد النحاة أحيانا ينصون على ضرورة حفظ الرتبة إذا دعت لذلك ضرورة تركيبية مثلا، ويؤدي عدم حفظها إلى الغموض والالتباس. [2]

---

[1] – الجملة العربية تأليفها وأقسامها: فاضل صالح السمرائي، دار الفكر ناشرون موزعون ،الأردن، ط2، 1427هـ-2007م، ص37

[2] – ينظر: البيان في روائع القرآن(دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني) : تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1 1413هـ-1993م، ص277.

ويذكر السمرائي عن التقديم والتأخير أمثلة كثيرة حيث يقول:« وسأضرب لك أمثلة توضح هذا الأمر، وقد قدمت في كتابي "التعبير القرآني" جملة صالحة من أمثلة التقديم والتأخير وأسبابه، قال تعالى(لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالحَقِّ) [1] وقوله تعالى(لَا يُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ[2]) فهذه الآيات كلها جرت على الأصل من دون تقديم ولا تأخير، لأن المقام لا يقتضي ذاك وإنما يقتضي وضع كل كلمة في مكانها الذي وضعت فيه»[3].

ثم تطرق السمرائي إلى ذكر الآيات التي فيها تقديم وتأخير حيث أشار إلى ذلك بقوله: « وقد يأتي الكلام على غير ذلك، فيقدم ويؤخر فمن ذلك قول الله تعالى(فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ)[4] فقدم الجار والمجرور "عليه" على نائب الفاعل وقوله تعالى(أَءُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ)[5] ففي هذه الآية لم يقدم الجار والمجرور وإنما جاءت الآية على الأصل وذلك إن الكلام في سورة "الزخرف" على "موسى"قوله تعالى على لسان فرعون(أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الذِّي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ المَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ)[6] فناسب تقديم "عليه" أي على موسى لأن السياق في

---

[1] – سورة الفتح: الآية 27.

[2]– سورة النساء: الآية 148.

[3]– الجملة العربية تأليفها وأقسامها: فاضل صالح السمرائي، المرجع السابق، ص38.

[4] – سورة الزخرف: الآية 53.

[5] – سورة القمر: الآية 25.

[6]– سورة الزخرف: الآية 53.

ذكره»[1] فهذه الآيات اشتملت على تقديم وتأخير ولم تبقى على الأصل، ويواصل السمرائي حديثه عن التقديم والتأخير في بعض السور كسورة القمر وغيرها حيث يقول:« في حين أن الكلام جرى في سورة "القمر" على الأصل، ذلك أن السياق هو في التكذيب بالنذر ومدار التكذيب قائم على إنكار إنزال الذكر عليهم (أَءُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ) فالمسألة أصلا في إنكار الإيمان بالنبوة وإنكار أن الله أوحى إلى بشر يبلغوا عنه، ولا يختلف الإنكار باختلاف الشخص المرسل، فإن الاختلاف ليس على الشخص وإنما على أصل المسألة، في حين كان السياق في سورة "الزخرف" في المفاضلة بين شخصين: موسى وفرعون (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ) فناسب تقديم ما قدم»[2]وعلى هذا نقول أن ما قدم في الجملة يكون خاضعا للعناية والاهتمام.

ويوضح السمرائي ذلك بذكره لبعض الآيات التي فيها يكون المقدم خاضعا للإهتمام ومن ذلك قوله تعالى:(وَإِذْ نَتَقْنَا الجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ)[3] فقدم "الجَبَلَ" على الظرف "فَوْقَهُمْ" جريا على الأصل، في حين قال تعالى(وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمْ الطُّورَ)[4] وقوله تعالى(وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ[5]) فقدم الظرف على "الطُّورِ" في الآيتين ذلك أن تقديم الظرف "فَوْقَهُمْ" على "الطُّورِ"

---

[1]– الجملة العربية تأليفها وأقسامها: فاضل صالح السمرائي، المرجع السابق، ص 39.

[2] – المرجع نفسه: ص39.

[3] – سورة الأعراف: الآية 171.

[4] – سورة النساء: الآية 154.

[5] – سورة البقرة: الآية 63.

في البقرة والنساء يدل على أن الاهتمام بالظرف أكثر من "الطُّورِ" وان تقديم "الجَبَلَ" على الظرف في الأعراف يدل على أن الاهتمام "بِالجَبَلِ" أكثر من الظرف»[1]

ونضيف إلى هذا أن السمرائي يرى أن الاهتمام والعناية سببان موجبان للتقديم والتأخير فيقول : « ومدار كل ذلك على العناية والاهتمام فما قدمته كنت به أعنى »[2].

كما يكون التقديم أيضا والتأخير لضرب من التوسع في الكلام كما في الشعر ومراعاة الأسجاع، فإن الشاعر قد يعسر عليه وضع الكلمات بحسب أهميتها في الكلام، وقد يضطره الوزن والقافية إلى التقديم والتأخير لإقامتهما» [3] .

وخلاصة ما ذكرناه في التقديم والتأخير:

– أن للكلام رتبا بعضها اسبق من بعض فإن جرى الكلام على الأصل لم يكن من باب التقديم والتأخير.

– إذا غيرت أية كلمة عن مكانها دخل ذلك في باب التقديم والتأخير.

– ليس معنى الاهتمام تقديم ما هو أفضل واشرف، بل قد يكون تقديم المفضل هو موطن الاهتمام.

---

[1] – الجملة العربية تأليفها وأقسامها: فاضل صالح السمرائي، المرجع السابق، ص39.

[2] – المرجع نفسه: ص45.

[3] – ينظر: المرجع نفسه، ص49.

– قد يكون التقديم والتأخير لمراعاة معنى معين، فإن تغير ترتيب العبارة بتقديم أو تأخير تغير المعنى.

– قد يكون التقديم والتأخير لضرب من التوسع في الكلام لا للدلالة على معنى معين كما في الشعر ومراعاة الأسجاع.

4– التقديم والتأخير عند تمام حسان:

يعد تمام حسان من المحدثين الذين اعتنوا بدراسة التقديم والتأخير وعدوها عدولا عن الأصل يقول:« العدول عن الرتبة عدم مراعاتها بتقديم ما رتبته التأخير أو العكس وتسمى الرتبة في هذه الحالة رتبة مشوشة»[1] أي متداخلة كقولنا : "زَيْدًا رَأَيْتُ" فالأصل تقدم الفعل فالفاعل فالمفعول به ولكن عدل عن الأصل من أجل الأهمية.

يشير تمام حسان في كتابه" البيان في روائع القرآن" إلى تعريف الرتبة وأنها نوعان فيقول:« وهي قرينة نحوية ووسيلة أسلوبية أي أنها في النحو قرينة على المعنى وفي الأسلوب مؤشر أسلوبي ووسيلة إبداع وتقليب عبارة واستجلاب معنى أدبي... الخ»[2].

ويذكر تمام حسان أنواع الرتبة فيقول :« الرتبة النحوية نوعان محفوظة وغير محفوظة، فالمحفوظة رتبة في نظام اللغة وفي الاستعمال في الوقت نفسه، أما غير

---

[1]– البيان في روائع القرآن(دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني) : تمام حسان، المرجع السابق، ص 378.

[2]–المرجع نفسه: ص 91.

المحفوظة فهي رتبة في النظم فقط، وقد يحكم الاستعمال بوجوب عكسها»[1] ومثال ذلك ما جاء في تقديم المفعول على الفاعل كقولنا:" كتب الدرس محمد" ففي هذا الجملة المفعول مقدم على الفاعل، وفي هذه الحالة الرتبة غير محفوظة لأنه وقع تقديم وتأخير للجملة والعكس بالنسبة للرتبة المحفوظة كقولنا:"كتب محمد الدرس" في هذه الجملة تقدم الفعل ثم الفاعل ثم المفعول به فنقول أن الجملة بقيت على أصلها ولم تعدل عنه.

ونضيف إلى هذا أنه يمكن العدول عن الأصل بالتقديم والتأخير وهذا العدول إما يكون مطردا أو غير مطرد، فإن كان غير مطرد فالنحاة يسمونه شاذا أو ضرورة أو خطأ وذلك كقول الشاعر:

أَلَا يَا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ

عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللهِ السَّلاَمُ[2]

فالقاعدة العامة تنص على حفظ الرتبة بين المعطوف والمعطوف عليه ولكن عدل عن الأصل للضرورة

أما إذا كان العدول مطردا فانه عندئذ يخض للاعتبارات الآتية: الفائدة والخضوع للقاعدة التي العدول في ضوئها والاحتكام العام لصناعة النحو، كما يبدو من خلال قواعد

---

[1]– المرجع السابق: 94.

[2]– ينظر: الأصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب : تمام حسان، دار عالم للكتب، القاهرة، ط1، 1420هـ 2000م، ص130.

التوجيه، وذلك كتقديم المفعول على الفاعل فعملية التقديم والتأخير تتم من اجل الفائدة أو من اجل هدف معين بناءا على قاعدة فرعية على الأصل، على أن لا يتعارض العدول مع قواعد التوجيه التي تحكم النحو العربي كأن يقال مثلا : "لا عبرة بالتقديم إذا كان في نية التأخير»[1].

وللإضافة فقد أشار تمام حسان في كتابه" الخلاصة النحوية" إلى التفريق في التقديم والتأخير بين اللفظ والرتبة يقول:« ولقد فرق النحاة في القول بالتقديم والتأخير بين اللفظ والرتبة فقد يكون التقديم والتأخير في اللفظ دون الرتبة كما في :"لَكَ العُتْبَى حَتَّى تَرْضَى" وقد يكون في الرتبة دون اللفظ كرتبة لفظ "العتبى" في الشاهد السابق، وقد يكون لفظا ورتبة كما في ضمير الشأن»[2] .

وما يمكن الخلوص إليه من هذا كله أن تمام حسان يرى دراسة التقديم والتأخير دراسة لأسلوب التركيب لا التركيب نفسه أي أنها دراسة تتم في نطاقين أحدهما مجال الرتبة المحفوظة والآخر مجال الرتبة غير المحفوظة، ومعنى هذا أن الرتبة المحفوظة لو اختلت لإختل التركيب بإختلالها، ومن هنا تكون الرتبة المحفوظة قرينة لفظية تحدد معنى الأبواب المرتبة بحسبها ومن الرتب المحفوظة في التركيب العربي، أن يتقدم الموصول على الصلة والموصوف على الصفة، ويتأخر البيان على المبين والمعطوف على المعطوف عليه

---

[1]- ينظر: المرجع السابق: ص 130.

[2] – الخلاصة النحوية: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1420هـ- 2000م، ص87.

والتوكيد على المؤكد والبدل على المبدل منه والتمييز عن الفعل ونحوه، وصدارة الأدوات في أساليب الشرط والاستفهام وتقدم حرف الجر على المجرور، وحرف العطف على المعطوف وأدوات الاستثناء على المستثنى، وحرف القسم على المقسم به والمعية على المفعول معه»[1].

ومن الرتب غير المحفوظة رتبة المبتدأ أو الخبر ورتبة الفاعل والمفعول به ورتبة الفاعل والتمييز ورتبة المفعول به والفعل»[2].

ووافق تمام حسان بعض النحاة في أن اللغة تنحرف على القاعدة الأصلية لأمن اللبس وهو ما يسمى " العدول عن الأصل " فالقاعدة الأصلية تجعل المبتدأ متقدما على الخبر، ولكن يحدث أحيانا أن يشتمل على ضمير يعود على لفظ يشتمل على الخبر فلو استصحب هذا الأصل لعاد الضمير على متأخر لفظا ورتبة، ولأدى ذلك إلى اللبس عندئذ يعدل عن هذا الأصل إلى القاعدة الفرعية وهي قاعدة تقديم الخبر»[3].

5- التقديم والتأخير عند الراجحي:

يعد الراجحي من النحاة المحدثين الذين اهتموا بدراسة التقديم والتأخير في الجملة العربية، وذلك تحت مصطلحي البنية العميقة والبنية السطحية حيث يقول:«وكل جملة يجب

---

[1]- ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، المرجع السابق، ص207.

[2]- ينظر: المرجع نفسه: ص 207.

[3] - ينظر: الأصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب : تمام حسان، المرجع السابق، ص145.

أن تدرسمن الجانبين أما الأول فيعبر عن الفكر، وأما الثاني فيعبر عن شكلها الفيزيقي باعتبارها أصواتا ملفوظة»[1] ويواصل الراجحي كلامه موضحا عما أشار إليه سابقا حيث يقول:« وهذه الأفكار هي التي ظهرت بعد ذلك عند تشومسكي تحت اسم البنية العميقة والبنية السطحية، ولما كانت البنية العميقة تعبر عن المعنى في كل اللغات، فإنها تعكس أشكال الفكر الإنساني، وعلينا أن نعرف كيف تتحول هذه البنية إلى كلام على السطح وهذا هو الأصل في النحو التحويلي الذي يهتم بالقوانين. التي تحدد البنية التحتية وتربطها ببنية السطح»[2].

وهذا ما يسمى بظاهرة التحويل التي جاء بها تشوميسكي، وهي التي تتمثل في الانتقال من البنية العميقة إلى البنية السطحية ، وقد ذكر الراجحي ذلك أيضا لما اشار الى قواعد اعادة الترتيب فقال وهي من الخصائص الكلية المهمة في اللغات الإنسانية ذلك لأن لكل لغة ترتيبها الخاص، ولكن المهم هو أن تعرف الترتيب في البينة العميقة ثم نبحث عن القوانين التي تحكم تحول هذا الترتيب إلى أنماط مختلفة في الكلام الفعلي على السطح»[3] ويواصل الراجحي كلامه موضحا ذلك باعطاء مثال حيث يقول:« وننظر في الجملة الانجليزية

---

[1] – النحو العربي والدرس الحديث" بحث في المنهج" : عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1979م ص124.

[2]– المرجع نفسه : ص124.

[3]– المرجع نفسه: ص154.

A detective hunted dawn the killer.

فهذا هو ترتيب الجملة في بنيتها العميقة يمكن أن تتحول بالترتيب نفسه إلى بنية السطح ويمكن أن يتغير الترتيب بنقل كلمة" dawn " لتصير:[1]

A detective hunted the killer dawn

هذا وإذا نظرنا إلى لغتنا العربية في ضوء هذين المستويين " البنية العميقة والبنية السطحية" فقد نرى لهذه الظاهرة وجودا عند اللغويين العرب، يقول الراجحي:«والحق أن العرب القدماء قد عنوا بهذه الظاهرة عناية بالغة، واخذوا يحكمون القوانين التي تنظمها فبحثوا قضية "التقديم والتأخير" وتأثيرها على تركيب الجملة من حيث الإعمال والإلغاء، ومن حيث التعبير الدلالي ونحن نذكر حديثهم عن وجوب تقديم الخبر وعن وجوب تقديم المبتدأ وعن جواز الأمرين، ونذكر تحليلهم للتمييز فيما يشبه الإشارة إلى " البنية العميقة" حين يعيدون التمييز إلى الفاعل في (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) أو إلى المفعول في (وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا)» .[2]

[1]- المرجع السابق: ص154.

[2] – المرجع نفسه: ص 155.

وقد تحدث ابن جني في أكثر من موضع عن هذه الفكرة، فمن ذلك قوله:« هذا الظاهر مماس لذلك الباطن كل جزء منه منطو عليه ومحيط به »[1] فمصطلح الظاهر والباطن يشير إلى ما أصبح يسمى "البنية السطحية" و"البنية العميقة".

وكما أشار الراجحي إلى قضية الأصلية والفرعية عند نحاة العرب فقال:« شغل نحاة العربية منذ مرحلة النشأة بالبحث في هذه القضية فقرروا أن النكرة أصل والمعرفة فرع، وأن المفرد أصل للجمع وأن المذكر أصل للمؤنث وأن التصغير والتكسير يردان الأشياء إلى أصولها»[2].

ويقر أن قضية الأصلية والفرعية قضية أساسية في فهم البنية العميقة وتحولها إلى بنية السطح ويدعم فكرته بما ورد في "الكتاب لسيبويه" : « وإنما كان المؤنث بهذه المنزلة ولم يكن كالمذكر لأن الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختص بعد فالتذكير أول وهو اشد تمكنا كما أن النكرة اشد تمكنا من المعرفة... الخ.»[3]

فقضية الأصلية والفرعية تعد من المباحث المشتركة بين النحوين التحويلي، والنحو العربي إضافة إلى المباحث الأخرى التي يشتركان فيها أيضا، ومن خلال كل ما سبق نستنتج أن ظاهرة التقديم والتأخير في النحويين العربي والتحويلي تجمع بينهما مباحث تؤدي إلى التقريب بينهما، كقضية الأصلية والفرعية وغيرها من المباحث الأخرى، يقول

---

[1] – الخصائص: أبي الفتح عثمان بن جني. ج2، المرجع السابق، ص476.

[2]– النحو العربي والدرس الحديث" بحث في المنهج" : عبده الراجحي، المرجع السابق، ص143.

[3]– الكتاب لسيبويه: تحقيق عبد السلام محمد هارون،ج3، المصدر السابق، ص 241.

الراجحي:«فهذه أهم الجوانب التي تقرب النحو العربي من المنهج التأويلي في العصر الحديث ومن الواضح أن الأصل العقلي فيهما كان حقيقا أن يفضي إلى هذا التقريب»[1]

[1]– النحو العربي والدرس الحديث" بحث في المنهج" : عبده الراجحي، المرجع السابق ص157.

الفصل الثاني: التقديم والتأخير عند البلاغيين القدامى والمحدثين

* المبحث الأول: التقديم والتأخير عند البلاغيين القدامى

* المبحث الثاني: التقديم والتأخير عند البلاغيين المحدثين

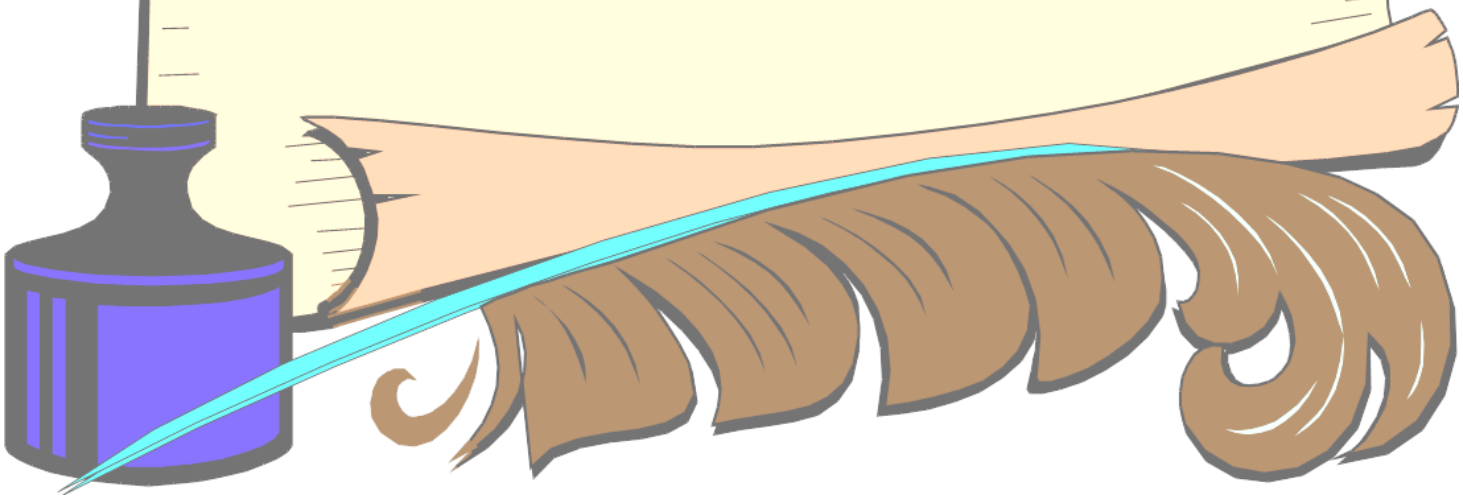

المبحث الأول: التقديم والتأخير عند البلاغيين القدامى

اهتم البلاغيون بالبحث عن التقديم والتأخير وأسراره البلاغية، فركزوا على دلالات التراكيب وبيان أثر ذلك في المعنى وربطوا تحول الجملة التركيبية عن موضعها بالدلالة وتوجهت جهودهم نحو استقصاء الدلالات والمعاني، لا تأخير القواعد وتأصيلها»[1].

ولم ينظر ابن سنان الخفاجي في كتابه "سر الفصاحة" إلى التقديم والتأخير نظرة شاملة، وإنما ذكره في نطاق ضيق عندما كان يتحدث عن شروط خاصة بالتأليف منها: وضع الألفاظ في موضعها حقيقة أو مجازا فيقول:« ومن وضع الألفاظ موضعها أن لا يكون في الكلام تقديم وتأخير، حتى يؤدي ذلك إلى فساد معناه وإعرابه في بعض المواضع أو سلوك الضرورات...الخ.»[2].

ويستشهد ابن سنان ببعض الأمثلة من التقديم والتأخير التي تتنافى مع شروط صحة تأليف الكلام فمن هذه الأمثلة قول أبي الطيب:

المَجْدُ أَخْسَرُ وَالمَكَارِمُ صَفْقَةٌ

مِنْ أَنْ يَعِيشَ لَهَا الهُمَامُ الأَرْوَعُ

---

[1] – التقديم والتأخير في المثل العربي: غادة أحمد البواب، مطبعة السفير ، الأردن، 2011م، ص45.

[2]–سر الفصاحة: أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، القاهرة، ط1 1402هـ–1982م، ص 101. (نقلا عن التقديم والتأخير في المثل العربي: غادة أحمد البواب، المرجع نفسه، ص 46

ففي هذا البيت الشعري قدم" اخسر" على " المكارم" وفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالخبر" اخسر" فالتقدير: " المجد والمكارم اخسر صفقة"[1] .

وأما عبد القاهر الجرجاني فالتقديم والتأخير عنده نوعان: تقديم على نية التأخير وذلك كخبر المبتدأ إذا قدم عليه والمفعول به إذا قدم على الفاعل وتقديم لا على نية التأخير، ولكن على أن ينقل الشيء من حكم إلى أخر وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل أن يكون كل منهما مبتدأ، ويكون الأخر خبرا له فتقدم مرة هذا على ذلك، وأخرى ذلك على هذا، ومثاله ما تصنعه بزيد المنطلق حيث تقول مرة: " زَيْدٌ المُنْطَلِقُ" وأخرى:" المُنْطَلِقُ زَيْدٌ" فقد تغير حكم الإعراب وتغير المعنى أيضا»[2]

ويشير ابن الأثير إلى ضربين من التقديم والتأخير، فالأول يختص بدلالة الألفاظ على المعاني ولو أخر المقدم أو قدم المؤخر لتغيير المعنى وهو ينقسم إلى قسمين: أحدهما أن يكون التقديم فيه هو الأبلغ والآخر يكون التأخير فيه هو الأبلغ»[3]. فأما القسم الذي يكون فيه التقديم هو الأبلغ، فمنه تقديم المفعول على الفعل نحو:" مُحَمَّدًا ضَرَبْتُ" وكذلك

---

[1]– ينظر: التقديم والتأخير في المثل العربي: غادة أحمد البواب، المرجع السابق، ص 46.

[2] – ينظر: دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق: ص96.

[3]- ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين ابن الأثير، قدمه وعلق عليه احمد الحوفي وبدوي طبانه، دار النهضة مصر للطبع والنشر، مصر، ص 210.

تقديم خبر المبتدأ عليه نحو:" قَائِمٌ زَيْدٌ"، والثاني يختص بدرجة التقديم في الذكر لاختصاصه بما وجب له ذلك، ولو أخر لما تغير المعنى»[1].

ويشير القزويني في كتابه" الإيضاح في علوم البلاغة" إلى الأسباب البلاغية لتقديم المسند وهي إما التخصيص بالمسند إليه كقولك :" قَائِمٌ هُوَ" لمن تقول" زَيْدًا" أما قائم أو قاعد فيردده بين القيام والقعود من غير أن يخصصه بأحدهما، ومنه قولهم:" تَمِيمِيٌّ أَنَا " وإما للتنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعت كقوله تعالى:(وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) وإما للتفاؤل وإما للتشويق إلى المسند إليه»[2].

ونجد السكاكي قد أخذ بملاحظة سيبويه في التقديم فيقول: « والحالة المقتضية لذلك هي كون العناية بما يقوم أتم وإيراده في الذكر أهم والعناية التامة بتقديم ما يقدم، والاهتمام بشأنه»[3] فالعناية هي الغرض البلاغي للتقديم عند السكاكي، وعلى هذا يقسم التقديم للعناية إلى قسمين:

الأول: أن يكون أصل ما قدم في الكلام هو التقديم ولا مقتضى للعدول عنه كالمبتدأ المعرف فإن أصله التقديم على الخبر نحو:" زَيْدٌ عَارِفٌ" وكذلك الحال المعرف فإن أصله

---

[1]– المصدر السابق:، ص210.

[2] – ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع: الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ-2003م، ص 209.

[3] – مفتاح العلوم: أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1403هـ-1983م، ص113.

التقديم على الحال نحو: " جَاءَ زَيْدٌ رَاكِبًا" وكالعامل فإن أصله التقديم على معموله نحو"عَرَفَ زَيْدٌ عُمَرًا وَكَانَ زَيْدٌ عَارِفًا وَأَنَّ زَيْدًا عَارِفٌ" وكالفاعل فإن أصله التقديم على المفعولات وما يشبهها من الحال والتمييز نحو:" ضَرَبَ زَيْدٌ الجَانِي بِالسَّوْطِ يَوْمَ الجُمُعَةِ أَمَامَ بَكْرٍ ضَرْبًا شَدِيدًا تَأْدِيبًا لَهُ مُمْتَلِئًا بِالْغَضَبِ" وكالذي يكون في حكم المبتدأ من مفعولي باب (علمت) نحو:" عَلِمْتُ زَيْدًا مُنْطَلِقًا" أو في حكم الفاعل من مفعولي باب (أعطيت) و(كسوت) نحو:"أَعْطَيتُ زَيْدًا دِرْهَمًا وَكَسَوْتُ عُمَرًا جُبَّةً" وكالمفعول المتعدى إليه بواسطة نحو:"ضَرَبْتُ الجَانِي بِالسَّوْطِ" وكالتوابع فإن أصلها تذكر بعد المتبوعات»[1]

ثانيا: أن تكون العناية بتقديمه والاعتناء بشأنه لكونه في نفسه نصب عينيك فالتفات خاطرك إليه بالتزايد كما تجدك قد منيت بهجر حبيبك، وقيل لك ما تتمنى تقول: "وَجْهُ الحَبِيبِ أَتَمَنَّى"، وقوله تعالى:(وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ)[2] أي على القول بأن "لله شركاء" مفعولا "جعلوا" أو لعارض يورثه ذلك كما إذا توهمت أن مخاطبك ملتف الخاطر إليه ينتظر أن تذكره فيبرز في معرض أمر يتجدد في شأنه التقاضي ساعة فساعة ، فمتى تجد له مجالا للذكر صالحا أوردته نحو قوله تعالى:(وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى المَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى)[3] حيث قدم فيه المجرور للإشتمال ما قبله على سوء معاملة أهل القرية الرسل من إصرارهم على

---

[1]– الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع: الخطيب القزويني، المصدر السابق،ج1، ص97.

[2]– سورة الأنعام: الآية 100.

[3]– سورة يس: الآية 20.

تكذيبهم، فكان مظنة أن يلعن السامع على مجرى العادة تلك القرية، ويبقى مجيلا في فكره أكانت كلها كذلك أم كان فيها قطر دان أم قاص منبت خير؟ منتظرا لإلمام الحديث به.

أو كما إذا وعدت ما تبعد وقوعه من جهتين أحداهما ادخل في تبعيده من الأخرى فإنك حالة التفات خاطرك إلى وقوعه لاعتبارهما تجد تفاوتا في إنكارك قوة وضعفا بالنسبة ولامتناع إنكاره بدون القصد إليه يستتبع تفاوته ذلك تفاوتا في القصد إليه، والاعتناء بذكره فالبلاغة توجب أنك إذا أنكرت تتمول في الأول شيء حاله في البعد عن الوقوع هذه أنى يكون؟ وعليه قوله تعالى في سورة النمل:(لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَائُنَا)[1] وقوله تعالى في سورة المؤمنين:(لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَائُنَا هَذَا)[2] فإن ما قبل الأولى (أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَائُنَا أَءِنَّا لَمُخْرَجُونَ) وما قبل الثانية (أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) فالجهة المنظور فيها هناك كونهم أنفسهم وآبائهم ترابا، والجهة المنظور فيها في السورة الثانية كونهم ترابا وعظاما ولا شبهة أن الأولى أدخل عندهم»[3].

أو كما إذا عرفت في التأخير مانعا كما قوله تعالى في سورة المؤمنين:(وَقَالَ المَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ)[4] تقديم المجرور على الوصف لأنه لو أخر عنه وأنت تعلم تمام الوصف بتمام ما يدخل في صلة الموصول وتمامه(وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي

---

[1] – سورة النمل: الآية 68.

[2] – سورة المؤمنين: الآية 83.

[3]–الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع: الخطيب القزويني، المصدر السابق: ص98.

[4]– سورة المؤمنين: الآية 33 .

الحَيَاةِ الدُّنْيَا)[1] لاحتمل أن يكون من صلة" الدنيا" واشتبه الأمر في القائلين أنهم من قومه أم لا بخلاف قوله تعالى في موضع أخر منها:(فَقَالَ المَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ)[2] فإن جاء على الأصل بعدم المانع وكما في قوله تعالى:(آمَنَّا بِرَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ[3]) للمحافظة على الفاصلة بخلاف قوله تعالى:(رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ) [4]»[5].

---

[1] – سورة المؤمنين: الآية 33.

[2]– سورة المؤمنين: الآية 24.

[3]– سورة طه: الآية 70.

[4] – سورة الشعراء : الآية 48.

[5]–ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع: الخطيب القزويني، المصدر السابق،ج1، ص 98.

المبحث الثاني: التقديم والتأخير عند البلاغيين المحدثين

تحدث البلاغيون المحدثون عن التقديم والتأخير، فعبد العزيز عتيق يرى بأن: «الكلام يتألف من كلمات وأجزاء، وليس من الممكن النطق بأجزاء أي كلام دفعة واحدة من اجل ذلك كان لابد من النطق بالكلام تقديم بعضه وتأخير بعضه الآخر، وليس شيء من اجزاء الكلام في حد ذاته أولى بالتقديم من الآخر، لأن جميع الألفاظ من حيث هي ألفاظ تشترك في درجة الاعتبار بعد مراعاة ما تجب له الصدارة كألفاظ الشرط والاستفهام»[1].

فتقديم جزء من الكلام أو تأخيره لا يرد اعتباطيا في نظم الكلام وتأليفه، وإنما يكون عملا مقصودا يقتضيه غرض بلاغي أو داع من دواعيها، يذكر عبد العزيز أهم الدواعي والاغراض البلاغية التي توجب التقديم والتأخير في الكلام وهي:

1- التشويق إلى المتأخر إذا كان المتقدم مشعرا بغرابة نحو: قول الشاعر

ثَلاَثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا

شَمْسُ الضُحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالقَمَرُ

فهنا قدم المسند إليه وهو " ثلاثة" واتصف بصفة غريبة تشوق النفس إلى الخبر المتأخر، وهي"تشرق الدنيا ببهجتها" فإشراق الدنيا أمر يشوق النفس إلى أن تعرف هذه

(1)- البلاغة العربية في علم المعاني: عبد العزيز عتيق، دار النهضة العلمية، مصر، ط1، 1430هـ-2009م ص136.

الأشياء الثلاثة التي جعلت الدنيا بحسنها، وتتألق وتضيء فإذا عرفت النفس ذلك تمكن الخبر المتأخر فيها واستقر، ومثله قول أبي العلاء المعري

وَالذِّي حَارَتْ البَرِيَّةُ فِيهِ

حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادٍ

فالمسند إليه قد تقدم أيضا هنا واتصل به ما يدعوا إلى العجب ويشعر بالغرابة وهو"حارت البرية" وهذا أمر يشوق النفس ويثير فضولها إلى معرفة الخبر المتأخر.

2- تعجيل المسرة أو المساءة للتفاؤل أو التطير: فالتعجيل بالمسرة نحو: "الجَائِزَةُ الأُولَى فِي المُسَابَقَةِ كَانَتْ مِنْ نَصِيبِكَ" ونحو :" بَرَاءَةُ المُتَّهَمِ حَكَمَ بِهَا القَاضِي وَالإِفْرَاجُ عَنْهُ تَمَّ اليَوْمَ" والتعجيل بالمساءة نحو:" الفَشَلُ أُصِيبَ بِهِ العَدُوُ وَالخَسَائِرُ فِي جَيْشِهِ كَبِيرَةً وَنِيرَانُ الأَسْلِحَةِ المُخْتَلِفَةِ تُطَارِدُ فِي كُلِّ مَكَانٍ".

3- كون المتقدم محط الإنكار والتعجب نحو: قوله تعالى(أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ) فإنما قدم خبر المبتدأ عليه في قوله" أَرَاغِبٌ أَنْتَ " ولم يقل " أَأَرَاغِبٌ أَنْتَ " وذلك لأهمية المتقدم وشدة العناية به وفي ذلك ضرب من التعجب والإنكار لرغبة إبراهيم عن ألهته، وإن ألهته لا ينبغي أن يرغب عنها، وهذا بخلاف ما لو قال:" أَأَنْتَ رَاغِبٌ عَنْ آلِهَتِي؟" ومن أمثلته شعرا قول أبي فراس الحمداني:

أَمِثْلِي تُقْبَلُ الأَقْوَاُل فِيهِ؟

وَمِثْلُكَ يَسْتَمِرُّ عَلَيْهِ كَذِبُ؟

وقول شاعر أخر:

أَمِنْكَ اغْتِيَابُ لِمَنْ فِي غِيَّابِكَ

يُثْنِي عَلَيْكَ ثَنَاءًا جَمِيلًا؟

4- تقوية الحكم وتقريره: وذلك كقولك عن شخص كريم" هُوَ يُعْطِي الجَزِيلَ" فأنت لا تريد أن غيره لا يعطي الجزيل ولا أن تعرض بإنسان آخر يعطي القليل ولكن تريد أن تقرر في ذهن السامع وتحقق أنه يفعل إعطاء الجزيل، فتقديم المسند إليه " هُوَ" وتكراره في الضمير المستتر في " يُعْطِي" أدى إلى تقوية الحكم وتقريره، ومنه كذلك قول أبي فراس الحمداني مخاطبا سيف الدولة

أَلَسْتُ وَإِيَّاكَ مِنْ أُسْرَةٍ

وَبَيْنِي وَبَيْنِكَ قُرْبُ النَّسَبِ؟

فالبيت يشتمل على جملتين تقدم المسند إليه في الأولى وتأخر في الثانية، وليس من سبب لذلك في الحالين إلا تقرير الحكم الذي تضمنته كلتا الجملتين.

5- التخصيص: وهذا يعني أن المسند إليه قد يقدم ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي بشرط أن يكون مسبوقا بحرف نفي نحو:" مَا أَنَا قُلْتُ هَذَا" أي لم اقله ولكنه مقول من غيري فأنت في هذا المثال تنفي وقوع المقول منك ولكنك لا تنفي وقوعه من غيرك ولهذا لا يصح "مَا أَنَا قُلْتَ هَذَا وَلَا غَيْرِي" فتقديم المسند إليه" أَنَا" أفاد نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك، ومن ذلك قول الشاعر:

وَمَا أَنَا أَسْقَمْتُ جِسْمِي بِهِ

وَلَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي القَلْبِ نَارًا

فسقم الجسم بالحب وإضرام النار في القلب كلاهما ثابت موجود، ولكن قصرهما وتخصيصهما بالمسند إليه المتقدم"أنا" قصد به نفي كون المتكلم هو السبب في سقم جسمه وإضرام النار في قلبه واثبات السبب لغيره كالحبيب مثلا.

6- التنبيه على أن المتقدم خبر لا نعت: وذلك خاص بتقديم الخبر المسند على المبتدأ المسند إليه، نحو قوله تعالى:(وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) فالشاهد هنا هو في قوله " وَلَكُمْ مُسْتَقَرٌّ " فلو قال"وَمُسْتَقَرٌّ لَكُمْ" لتوهم ابتداء أن" لكم" نعت، وأن خبر المبتدأ سيذكر فيما بعد، وذلك لان حاجة النكرة إلى نعت أشد من حاجتها إلى خبر ولذلك تعين تقديم المسند للتنبيه على أنه خبر لا نعت، ومن أمثلته شعرا قول المتنبي:

وَفِيكَ إِذَا جَنَى الجَانِي أَنَاةَ

تَظُنُّ كَرَامَةً وَهِيَ إِحْتِقَارُ

فتلك هي الأغراض والدواعي التي تقتضي التقديم والتأخير أحيانا بين المسند والمسند إليه.»[1] ويضيف عبد العزيز نوعا أخر من التقديم، يكون مقصورا على تقديم متعلقات الفعل عليه، من مثل "المفعول والجار والمجرور والحال والاستثناء وما أشبه ذلك"»[2].

ويتحدث محمد عبد المطلب في كتابه" البلاغة العربية قراءة أخرى" عن قضية التحول في المسند إليه فالتحول عنده يصيب المسند إليه ويأخذ شكل حركة أفقية ينتقل فيها الدال عن موضعه الأصلي إلى موضع طارئ ومقولة التقديم عنده تكون خالصة للبعد المعنوي، وإن المسند إليه محكوما عليه أبدا والمحكوم عليه متقدم في الذهن على المحكوم به، ومقولة التقديم لا تكتسب حقيقتها الخالصة إذا كان المسند إليه فاعلا، لأن موضعه الدائم هو التأخير عن الفعل، ومن ثم تنصرف مقولة التقديم إلى المبتدأ لأن رتبته "غير المحفوظة" هي التقديم»[3].

---

[1] – ينظر: المرجع السابق: ص141.

[2] – ينظر: المرجع نفسه: ص141.

[3] – ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى: محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان، لبنان، ط1، ص. ص 235 . 236.

ويرى احمد مطلوب: « أن التقديم والتأخير يقع في الجملة، والجملة اصغر وحدة يتم بها معنى الكلام، ولابد أن يكون فيها مسند ومسند إليه أي: فعل وفاعل أو مبتدأ وخبر»[1].

ويشير الدكتور أحمد مطلوب إلى أن تقديم الفعل أو تأخيره في الجملة ليس مسالة إعراب، واختلاف فيه، وإنما يرجع ذلك إلى المعنى فهو الذي يحدد تركيب الجملة ويوجب البدء بالفعل أو الاسم إذ يقول احمد مطلوب: « وتقديم الفعل أو تأخيره في الجملة ليس مسألة إعراب واختلاف فيه وإنما يرجع ذلك إلى المعنى، فهو الذي يحدد تركيب الجملة ويوجب البدء بالفعل أو الاسم »[2] .

فالتقديم والتأخير يؤثر في حكم كل جزء ويبدل المعنى الذي يهدف إليه، فإذا تساوى المبتدأ والخبر في التعريف، أو التنكير كان المقدم منهما المبتدأ والمؤخر الخبر، وهو ما يحدده الغرض فإن كان الغرض الإخبار لأحدهما أخر ليصبح وصفا للثاني أي مسندا ولولا هذا الهدف لم يكن لهذا التركيب أهمية ولأصبح عبثا أو ضرورة يلجأ إليها من لا يقدر على التعبير السليم»[3].

وتحدث الدكتور محمود أحمد نحلة عن هذه المسألة ويرى أن للكلمات في الجمل رتبة وترتيبا خاص قد يكون ذلك إجباريا كتقديم" الموصوف على الصفة والمضاف على

---

[1] – بحوث لغوية: احمد مطلوب، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1، 1987م، ص39.

[2] – المرجع نفسه: ص 43

[3] – ينظر: المرجع نفسه: ص.ص 51 –52.

المضاف إليه" وقد يكون اختياريا كتقديم الخبر، وهذا النوع من الترتيب الاختياري وثيق الصلة بالبلاغة والمفاضلة بين الأساليب، ويشير إلى أن هناك أصلا لترتيب الكلمات في اللغة والخروج على هذا الأصل يكون تحقيقا لهدف بلاغي، كما يرى أن أصل الترتيب لا يرد خلوا من معنى زائد على أصل الوضع بل يكون في اللجوء إليه أحيانا نكتة بلاغية يدركها من كان له معرفة بالأساليب العربية»[1].

ورتبة المسند إليه عند احمد مصطفى المراغي هي التقديم لأنه المحكوم عليه ورتبة المسند التأخير إذ هو المحكوم به وما عاداهما فتوابع ومتعلقات تالية لهما في الرتبة، وقد يعرض لبعض الكلم من المزايا ما يدعوا إلى تقديمه، وأن كان حقه التأخير فيكون من الحسن تغيير هذا ليكون المقدم مشيرا إلى الغرض الذي يراد ومترجما عما يقصد منه»[2] .

يرى أحمد مصطفى أن التقديم له أحوال أربعة وهي :

1- ما يفيد زيادة في المعنى مع تحسين في اللفظ: وذلك هو الغاية القصوى واليه المرجع في فنون البلاغة والعمدة في هذا هو الكتاب الكريم ففي قوله تعالى:(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاظِرَةٌ إِلَى

[1]- ينظر: البلاغة العربية علم المعاني: نحلة محمود احمد، دار العلوم العربية، لبنان، ط1، 1990م، ص190.

[2] - ينظر: علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع: احمد مصطفى المراغي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط3 1414هـ-1993م، ص100.

رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)[1] تجد أن تقديم الجار والمجرور في هذا قد أفاد التخصيص، وأن النظر لا يكون إلا لله مع جودة الصياغة[2].

2- ما يفيد زيادة في المعنى فحسب: نحو (بَلِ اللهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ)[3] فتقديم المفعول في هذا لتخصيصه بالعبادة دون سواه ولو أخر لم يفد الكلام ذلك[4].

3- ما يتكافئ فيه التقديم والتأخير: وليس لهذا الضرب شيء من الملاحة نحو:

وَكَانَتْ يَدِي مَلْأَى بِهِ ثُمَّ أَصْبَحَتْ

بِحَمْدِ إِلَهِي وَهِيَ مِنْهُ سَلَبُ

فتقديره: ثُمَّ أَصْبَحَتْ مِنْهُ وَهِيَ سَلَبٌ بِحَمْدِ اللهِ

4- ما يختل به المعنى ويضطرب: وذلك هو التعقيد اللفظي أو المفاضلة التي تقدمت كتقديم الصفة على الموصوف والصلة على الموصول، ونحو ذلك كقول الفرزدق:

إِلَى مَلِكٍ مَا أُمُّهُ مِنْ مُحَارِبٍ

أَبُوهُ وَلَا كَانَتْ كُلَيْبٌ تُصَاهِرُهُ

---

[1] – سورة القيامة: الآية 22.

[2] – ينظر: المرجع السابق، ص 100.

[3]– سورة الزمر: الآية 66.

[4]– ينظر: المرجع نفسه، ص 100.

إذ تقديره إلى ملك أبوه ما أمه من محارب أي ما أم أبيه منهم ولا شك أن هذا لا يفهم من كلامه للنظرة الأولى بل يحتاج إلى تأمل ورفق حتى يفهم المراد منه»[1]

[1]– ينظر: المرجع السابق: ص101.

الفصل الثالث: التقديم والتأخير بين النحو والبلاغة مقاربة نصية

بين سيبويه والجرجاني

* المبحث الأول: مقاربة نصية بين متون سيبويه والجرجاني

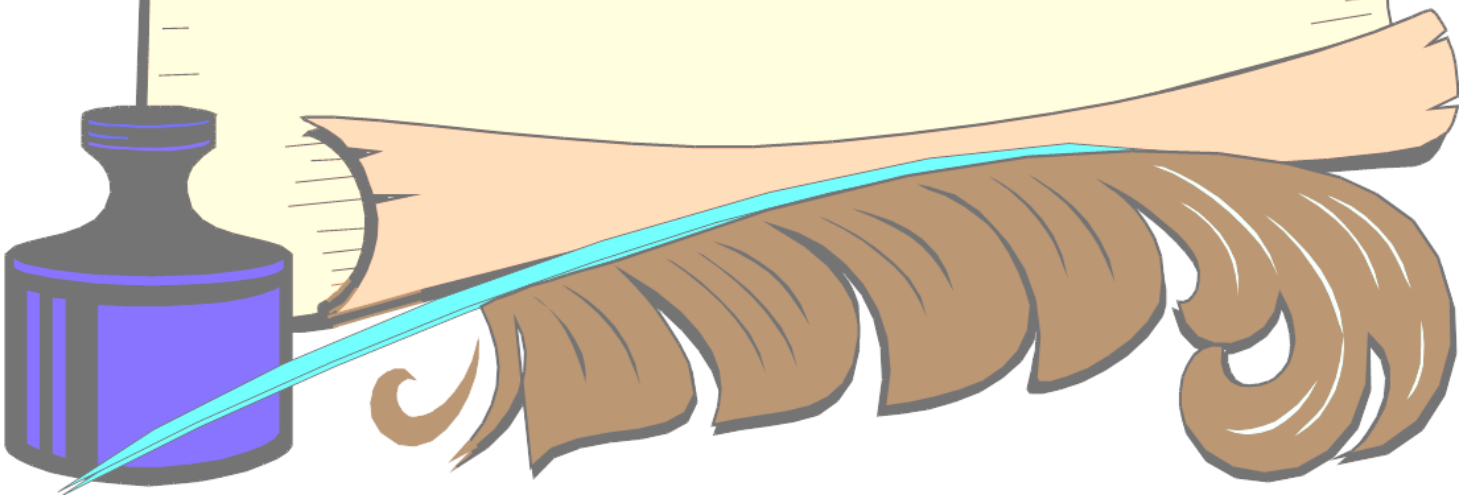

المبحث الأول: مقاربة نصية بين متون سيبويه والجرجاني

تم الاكتفاء بمقاربة نصية في موضوع التقديم والتأخير بين سيبويه وعبد القاهر الجرجاني وفق أسلوبين محددين فقط هما الاستفهام الذي يختص بالأسلوب الإنشائي والنفي الذي يختص بالأسلوب الخبري وتحديدنا لهذه الأسلوبين نظرا لضيق الوقت.

- التقديم والتأخير في أسلوب الاستفهام عند سيبويه:

يشير سيبويه إلى علاقة التقديم والتأخير في الاستفهام بالهمزة فهو يستحسن أن يلي المسؤول عنه الهمزة، ويقدم على الفعل ففي باب (أم إذا الكلام بها بمنزلة أيهما وأيهم) يقول:« وذلك قولك أَزَيْدٌ عِنْدَكَ أَمْ عَمْرُو؟وَأَزَيْدٌ لَقَيْتَ أَمْ بِشْرًا؟ فأنت الآن مدع أنه عنده أحدهما واعلم أنك إذا أردت هذا المعنى، فتقديم الاسم أحسن لأنك لا تسأله عن اللقاء وإنما تسأله عن أحد الاسمين لا تدري أيهما هو فبدأت بالاسم، لأنك تقصد قصدا أن يبن لك أي الاسمين عنده وجعلت الاسم الأخير عديلا للأول وصار الذي لا تسال عنه بينهما ولو قلت: أَلَقَيْتَ زَيْدًا أَمْ عَمْرًا كان جائزا حسنا، وإنما كان تقديم الاسم ههنا أحسن ولم يجز الأخر إلا أن يكون مؤخرا لأنه قصد احد الاسمين فبدأ بأحدهما»[1].

ويوضح سيبويه لنا سر تقديم الفعل كذلك بعد همزة الاستفهام وما يتولد عنه من معان عند تقديم وتأخير الفعل، فهو جائز حسن عند سيبويه، إذا كان هو المسؤول عنه غير

[1]- الكتاب : سيبويه: ج3، المصدر السابق، ص. ص 169. 170.

أن تقديم الفعل أولى وأفضل وإن كان تأخير الفعل المسؤول عنه حسنا« فتقول أَضَرَبْتَ زَيْدًا أَمْ قَتَلْتَهُ؟ فالبدء بالفعل ههنا أحسن لأنك إنما تسال عن احدهما لا تدري أيهما كان، ولا تسال عن موضع أحدهما فالبدء بالفعل ههنا أحسن، كما كان البدء بالاسم ثم فيما ذكرنا أحسن»[1].

يقول سيبويه في باب (أو) :« أَلَقَيْتَ زَيْدًا أَوْ عَمْرًا أَوْ خَالِدًا؟ واعلم أن إذا أردت هذا المعنى فتأخير الاسم أحسن لأنك إنما تسال عن الفعل بمن وقع، ولو قلت أَزَيْدٌ لَقَيْتَ أَوْ عَمْرًا أَوْ خَالِدًا؟ وَأَزَيْدٌ عِنْدَكَ وَعَمْرُو أَوْ خَالِدٌ؟ كان هذا في الجواز والحسن بمنزلة تأخير الاسم إذا أردت معنى أيهما»[2].

ففي المثال الأول" أَلَقَيْتَ زَيْدًا أَوْ عَمْرًا أَوْ خَالِدًا ؟" تقديم الفعل وتأخير الاسم للسؤال عن الفعل بمن وقع بمعنى"هل لقيت أحد الثلاثة؟" في حين أن الاستفهام في المثال الثاني" أَزَيْدًا لَقَيْتَ أَوْ عَمْرًا أَوْ خَالِدًا ؟" يكون الاستفهام عن الشخص الذي إلتقيته واقع فكأنك تسأل من مِنَ الثلاثة لقيت؟ فتجيب" لَقَيْتُ زَيْدًا أَوْ لَقَيْتُ عَمْرًا".

---

[1] – ينظر: المصدر السابق: ج3، ص171.

[2] – المصدر نفسه: ص179.

- التقديم والتأخير في أسلوب الاستفهام عند الجرجاني:

يتناول الجرجاني التقديم والتأخير في باب (همزة الاستفهام) فيقول:" فإن موضع الكلام على مسائل الاستفهام والفعل ماض أنك إذا قلت :"أفعلت" فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده»[1] .

يعالج الجرجاني الاستفهام بالهمزة من منطلق أن معنى هذا الاستفهام مع الفعل الماضي إنما هو للتقرير، أي إنك تسأل عن الفعل لتقرير حصوله أو نفيه وإضافة إلى هذا فإنه يمكن القول أن معنى الجملة الاستفهامية يختلف إذا كان الفعل ماضيا أو مضارعا فلكل جملة استفهامية دلالة ومعنى يقول الجرجاني:« ومما يعلم به ضرورة أنه لا تكون البداية بالفعل كالبداية بالاسم»[2] وذلك لاعتبار أن معنى تقديم الفعل غير معنى تقديم الاسم إذ يتقدم الفعل الماضي في الاستفهام بالهمزة، إن كان الشك في الفعل نفسه، وكان المراد معرفة وقوع الفعل أو عدمه مثال ذلك:"أَبَنَيْتَ الدَّارَ التِي كُنْتَ عَلَى أَنْ تَبْنِيهَا؟" أو " أَقُلْتَ الشِّعْرَ الذِي كَانَ فِي نَفْسِكَ أَنْ تَقُولَهُ؟" أو " أَفَرَغْتَ مِنَ الكِتَابِ الذِي كُنْتَ تَكْتُبَهُ؟" فهنا يتقدم الفعل للشك سواء في فعل البناء أو الفراغ أو الكتابة وكذلك إذا تقدم الاسم فان المعنى يختلف عن معنى الفعل حيث يتقدمك الاسم في الاستفهام بالهمزة على الفعل الماضي إذا كان الشك في الفاعل من هو فتقول:" أَأَنْتَ فَعَلْتَ؟" ففي هذه الحالة الفعل عند وقوعه يكون

---

[1]- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني: المصدر السابق، ص 111.

[2]- المصدر نفسه: ص 112.

معلوما من غير أن يعلم من أوقعه أو أحدثه مثال ذلك:" أَأَنْتَ بَنَيْتَ هَذِهِ الدَّارَ ؟" فالدار مبنية والاستفهام هنا على الباني لهذه الدار»[1].

ومما يفسده الجرجاني أن تقول في الشيء المشاهد الذي هو نصب عينيك أموجود أم لا؟ أي أنه لا يجوز أن تسأل أَبَنَيْتَ هَذِهِ الدَّارَ ؟"وأن تشير إلى الدار لكن يجب أن تتبع الهمزة بالمستفهم عنه فتقول:" أَأَنْتَ بَنَيْتَ هَذِهِ الدَّارَ ؟" والمستفهم عنه هنا في هذه الجملة هو الفاعل إذ الشك واقع فيه فهكذا يظهر الجرجاني الفرق بين تقديم الفعل إن كنا نشك في وقوعه وبين تقديم الاسم في حالة شككنا في هوية الفاعل"»[2] .

-التقديم والتأخير على طريق النفي عند سيبويه:

يتحدث سيبويه عن حروف النفي قائلا:« تكون" ما" إما حجازية تعمل عمل " ليس" كما في " مَا عَبْدُ اللهِ أَخَاكَ" أو تكون تميمية نافية غير عاملة كما في" مَا عَبْدُ اللهِ أَخُوكَ" ويرى سيبويه أن "ما" اقيس اللغتين لأنه ليس بفعل وليس "ما " كـ " ليس " ولا يكون فيها إضمار».[3]

وهو لا يجيز تقديم خبر"ما" على اسمها في حال تساويهما بالتعريف نحو" ما هذا بشرا" وأنت تعني "ما بشر هذا" وأما خبر" ليس" فيتقدم منصوبا إن لم يكن في التركيب

---

[1]- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني: المصدر السابق، ص 112.

[2]- ينظر: المصدر نفسه: ص112.

[3]- ينظر: الكتاب : سيبويه: ج1، المصدر السابق، ص57.

"ليس" كقولنا:" لَيْسَ زَيْدٌ ذَاهِبًا وَلاَ قَائِمٌ عَمْرثو" حيث "قائما" خبر"ليس" المنصوب وقول الشاعر:

أَلَيْسَ أَكْرَمَ خَلْقِ اللهِ قَدْ عَلِمُوا

عِنْدَ الحِفَاظِ بَنُوا عَمْرُو بْنُ جُنْمُودِ

حيث تقدم خبر "ليس" وهو" أكرم" على اسمها "بنوا" وإما الأمثلة المضروبة في باب (حروف أجريت مجرى حروف الاستفهام وحروف الأمر وحروف النهي) كقول:« مَا زَيْدٌ ضَرَبْتُهُ وَلَا زَيْدٌ قَتَلْتُهُ، وَمَا عَمْرًا لَقَيْتُ أَبَاهُ وَلَا عَمْرًا مَرَرْتُ بِهِ وَلَا بِشْرًا اشْتَرَيْتُ لَهُ ثَوْبًا وكذلك إذا قلت مَا زَيْدًا أَنَا ضَارِبُهُ إذ لم تجعله اسما معروفا»[1].

يرى سيبويه أن "ما"غير عاملة ويكون الاسم الذي بعدها مفعولا به وأما جملة"مَا أَنَا زَيْدٌ لَقَيْتُهُ" فلم يقع فيها تقديم وتأخير فهنا خبر "ما" جملة فعلية، ويمكن القول أن ما يصح في "ما" يصح في "لا" كما في قول هدبة بن الخشرم العذري:

فَلَا ذَا جَلَّلٌ هِبْنَهُ لِجَلَالِهِ

وَلَا ذَا ضَيَّاعٌ هُنَا يُتْرَكْنَ لِلْفَقْرِ

فحرف "لا" هنا بمعنى"ما" وقول الشاعر زهير

[1]– المصدر السابق: ص145.

لَا الدَّارُ غَيْرَهَا بَعْدَ الأَنِيسُ

وَلَا بِالدَّارِ لَوْ كَلَّمْتُ ذَا حَاجَةٍ صَمَمُ

فحرف "لا" في البيت بمعنى "ما" وللتوضيح أكثر نقول في البيت الأول قول الشاعر هدبة بن الخشرم: فَلَا ذَا جَلَّلٌ هِبْنَهُ لِجَلَالِهِ

وَلَا ذَا ضَيَّاعٌ هُنَا يُتْرَكْنَ لِلْفَقْرِ

حيث نصب الشاعر "ذا" على المفعولية في "لا ذا ضياع هنا يتركن للفقر" وقدم الاسم قبل الفعل وفي البيت الثاني لزهير: لَا الدَّارُ غَيْرَهَا بَعْدَ الأَنِيسُ

وَلَا بِالدَّارِ لَوْ كَلَّمْتُ ذَا حَاجَةٍ صَمَمُ

حيث نصب" الدار" على المفعولية لفعل المقدر يفسره الفعل "غيرها" والرفع في هذا اقوى كأن تقول" لا ذو جلال هبنه ولا الدار بعدي غيرها" لأنهن نفي واجب يبتدئ بعدهن ويبنى على المبتدأ بعدهن»[1]

-التقديم والتأخير على طريق النفي عند عبد القاهر الجرجاني:

يتحدث الجرجاني عند التقديم والتأخير في النفي فيقول:« وإذا قلت "مَا أَنَا قُلْتُ هَذَا" كنت نفيت أن تكون القائل له وكانت المناظرة في شيء ثبت أنه مقول وكذلك إذا قلت" مَا

[1]- ينظر: المصدر السابق: ص146.

ضَرَبْتُ زَيدًا" كنت نفيت عنك ضربه، ولم يجب أن يكون قد ضرب بل يجوز أن يكون ضربه غيرك وأن لا يكون قد ضرب أصلا»[1] فهذا القول يشمل على تقديم وتأخير سواء تقديم الاسم وتأخير الفعل أو عكس ذلك وما يمكن قوله أن باب النفي شبيه ببعض أحواله بباء الاستفهام في التقديم والتأخير.

فإذا أردنا أن ننفي الفعل قدمناه على الاسم كقول:" ما قلت هذا" أما إذا أردنا أن ننفي الاسم حددناه وقدمناه مثل:" مَا أَنَا قُلْتُ هَذَا" أو " مَا ضَرَبْتُ زَيْدًا" فتنفي ضربك زيدا وهو لم يجب أن يكون قد ضرب، بل يجوز أن يكون قد ضربه غيرك»[2].

وتقديم المنفي يقع في موقعين يرتفع معهما الشك في القول أحدهما أن تقدم الفعل المنفي عنك ثم تنفيه عن غيرك أن تقول:" مَا قُلْتُ هَذَا وَلَا قَالَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ" أما الثاني فهو الحصر بـ "إلا" مع تقديم الفعل كان تقول " مَا ضَرَبْتُ إِلَا زَيْدًا " و" مَا أَنَا ضَرَبْتُ إِلَا زَيْدًا " وذلك وأن نقض النفي بـ" إلا" يقتضي أن تكون ضربت زيدا وتقديمك لضميرك وايلاؤه حرف النفي يقتضي أن يكون ضربته فهما يتدافعان»[3].

وقد درس الجرجاني التقديم والتأخير في الجملة المثبتة يقول الجرجاني:« واعلم أن هذا الذي بان لك في الاستفهام والنفي من المعنى في التقديم قائم مثله في الخبر المثبت»[4]

---

[1]– دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني: المصدر السابق، ص 124.

[2]– ينظر: المصدر نفسه: ص 126.

[3] – ينظر: المصدر نفسه: ص126.

[4] – المصدر نفسه: ص127.

فإذا عمدت إلى الذي أردت أن تحدث عنه بفعل، فقدمت ذكره ثم بنيت الفعل عليه فقلت"زَيْدٌ قَدْ فَعَلْ" و" أَنَا فَعَلْتُ" و "أَنْتَ فَعَلْتَ" وهذا التقديم على معنيين اثنين:

الأول: هو قصر الفعل على الفاعل دون أخر فتقول" أَنَا كَتَبْتُ فِي مَعْنَى فُلَانْ" و" أَتُعْلَمُنِي بِضَبٍّ أَنَا حَرَشْتُهُ" تريد أن تدعي الانفراد بذلك والاستبداد به وتزيل الاشتباه فيه

الثاني: فهو ليس لإفراد الفعل بالفاعل بل للتحقيق على السامع، بأن الفاعل قد فعل لذلك تذكر الفاعل أولا للتنبيه عليه دون أن تزعم أن لا أخر يقوم بالفعل ومثاله قولك "هو يعطي الجزيل" و " ويحب الثناء" لا تريد أن تزعم أنه ليس هنا من يعطي الجزيل ويحب الثناء غيره ولكنك تريد أن تحقق على السامع أن إعطاء الجزيل وحب الثناء دأبه وإن تمكن ذلك في نفسه»[1].

[1] – ينظر: المصدر السابق: ص 127.

خـــــــاتمة

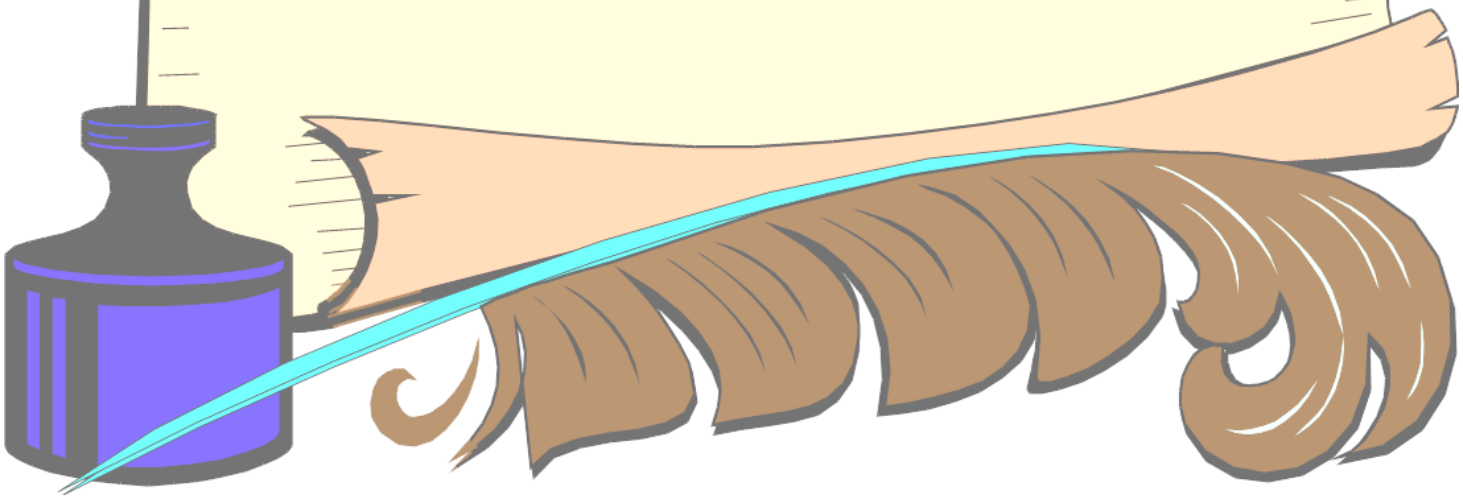

الخـــــــاتمة

وفي خاتمة هذا البحث الذي درسنا فيه بشكل موجز موضوع التقديم والتأخير من النحو إلى البلاغة سجلنا من خلاله أهم النتائج التي هي كالآتي :

1- يعتبر سيبويه من أوائل من لفت الأنظار إلى معنى التقديم والتأخير.

2- التقديم والتأخير عند ابن جني وأستاذه أبي علي الفارسي لا يأتي لعلة بلاغية كالاهتمام والتنبيه كما رأى ذلك سيبويه.

3- التقديم والتأخير عند عبد القاهر الجرجاني نوعان: تقديم على نية التأخير وتقديم لا على نية التأخير

4- العدول عن الأصل هو التقديم والتأخير عند النحاة .

5- التقديم عند السمرائي إما أن يكون بحسب الأصل أو بالعدول عن الأصل للعناية والاهتمام.

6- عملية التقديم والتأخير عند تمام حسان تتم من أجل الفائدة أو من أجل هدف معين.

7- التقديم والتأخير عند ابن سنان الخفاجي يتنافى مع شروط صحة تأليف الكلام لإعتباره يفسد الكلام.

8- يرى ابن الأثير أن التقديم والتأخير له ضربين الأول يختص بدلالة الألفاظ على المعاني والثاني يختص بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه.

9- الأسباب البلاغية لتقديم المسند عن القزويني هي التخصيص بالمسند إليه أو التنبيه أو التفاؤل أو التشويق.

10- العناية هي الغرض البلاغي للتقديم عند السكاكي.

11- التحول عند محمد عبد المطلب يصيب المسند إليه إذ ينتقل فيها الدال من موضعه الأصلي إلى موضع طارئ.

12- يرى أحمد مطلوب أن التقديم والتأخير يقع في الجملة وان تقديم فعل أو تأخيره في الجملة ليس مسألة إعراب أو اختلاف وإنما يرجع ذلك إلى المعنى.

13- تتمثل رتبة المسند إليه عند مصطفى المراغي في التقديم لأنه المحكوم عليه ورتبة المسند التأخير لأنه المحكوم به.

قائمة المصادر

و

المراجع

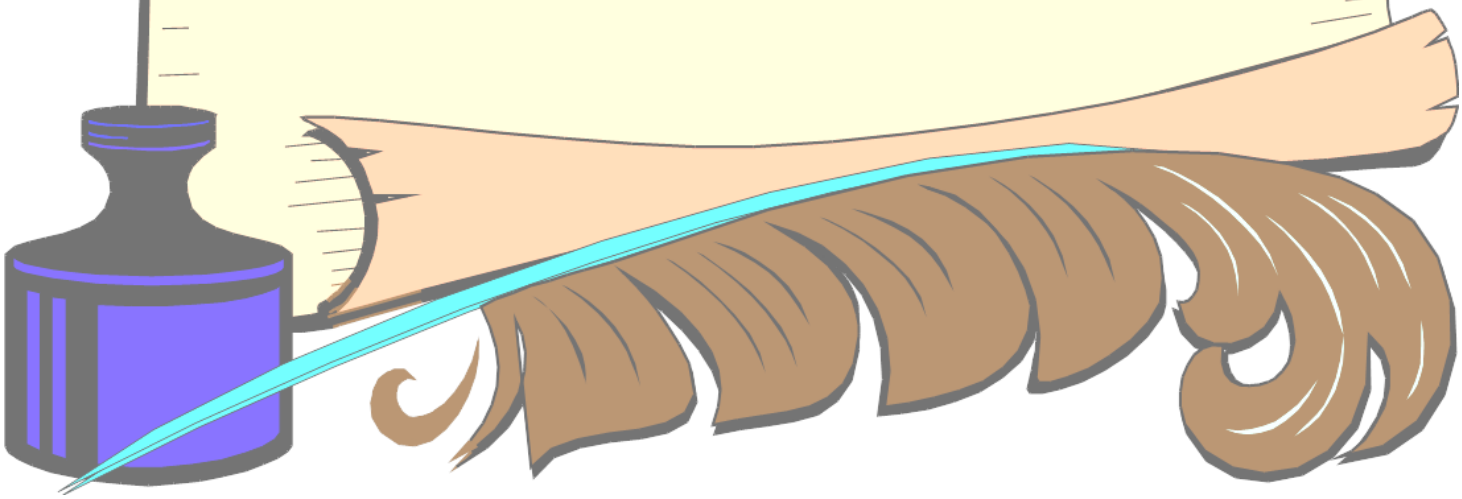

قائمة المصادر:

* القرآن الكريم

1- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع: الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ-2003م.

2- دلائل الإعجاز :عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد محمود شاكر، مكتبة الخانجي مطبعة المدني، القاهرة، (د.ط).

3- الخصائص: أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، ج2، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د.ط)، 1331هـ- 1913م.

4- سر الفصاحة: أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، القاهرة، ط1 1402هـ-1982م.

5- شرح الكتاب « كتاب سيبويه » أبي سعيد الصيرافي الحسن بن عبد اله بن المرزبان المتوفى سنة 368هـ، تحقيق احمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، ج1، دار الكتاب العلمية ببيروت، لبنان.

6- الكتاب: سيبويه أبي بشر عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط3 1408هـ- 1988م.

7- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين ابن الأثير، قدمه وعلق عليه احمد الحوفي وبدوي طبانه، دار النهضة مصر للطبع والنشر، مصر.

8- مفتاح العلوم: أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1403هـ-1983م.

قائمة المراجع:

1- الأصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب : تمام حسان، دار عالم للكتب القاهرة، ط1، 1420هـ 2000م.

2- بحوث لغوية: احمد مطلوب، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1، 1987م.

3- البلاغة العربية علم المعاني: نحلة محمود احمد، دار العلوم العربية، لبنان، ط1 1990م.

4- البلاغة العربية في علم المعاني: عبد العزيز عتيق، دار النهضة العلمية، مصر، ط1 1430هـ-2009م.

5- البلاغة العربية قراءة أخرى: محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان، لبنان، ط1.

6- البلاغة عند السكاكي: احمد مطلوب، منشورات مكتبة النهضة،بغداد، العراق، ط1 1384هـ-1964م.

7- البيان في روائع القرآن(دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني) : تمام حسان، عالم الكتب القاهرة، ط1 1413هـ-1993م.

8- التقديم والتأخير في المثل العربي: غادة أحمد البواب، مطبعة السفير،الأردن 2011م.

9- الجملة العربية تأليفها وأقسامها: فاضل صالح السمرائي، دار الفكر ناشرون موزعون ،الأردن، ط2، 1427هـ-2007م.

10- الخلاصة النحوية: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1420هـ- 2000م.

11- علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع: احمد مصطفى المراغي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط3، 1414هـ-1993م.

13- اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، دار الثقافة، المغرب،(د.ط)، 1994م.

14- النحو العربي والدرس الحديث" بحث في المنهج" : عبده الراجحي، دار النهضة العربية بيروت، ط1، 1979م.

فهرس المحتويات

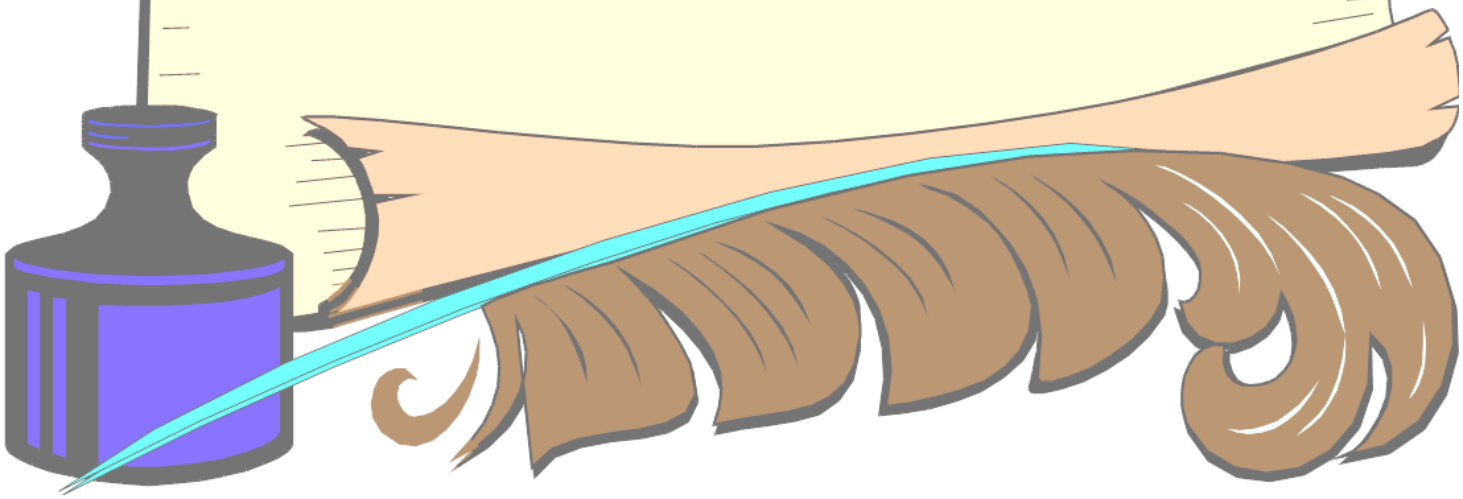

فهرس المحتويات:

إهـــــــداء: .....

شكر وتقدير: .....

مقدمـــــــة: ..... أ – ج

مدخل: ..... ص 02

الفصل الأول: التقديم والتأخير عند النحاة القدامى والمحدثين

المبحث الأول: التقديم والتأخير عند النحاة القدامى ص 09

المبحث الثاني: التقديم والتأخير عند النحاة المحدثين ص 21

الفصل الثاني: التقديم والتأخير عند البلاغيين القدامى والمحدثين

المبحث الأول: التقديم والتأخير عند البلاغيين القدامى ص 34

المبحث الثاني: التقديم والتأخير عند البلاغيين المحدثين ص 40

الفصل الثالث: التقديم والتأخير بين النحو والبلاغة مقاربة نصية بين سيبويه والجرجاني

المبحث الأول: مقاربة نصية بين متون سيبويه والجرجاني ص50

الخاتمة: ..... ص 59

قائمة المصادر والمراجع: ..... ص 62

فهرس المحتويات: ص66